مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

أثر السياق في دلالة المصدر على الفاعلية أو المفعولية في القرآن الكريم

د . وحيد الدين طاهر عبد العزيز
مدرس النحو والصرف- كلية الآداب بقنا
جامعة جنوب الوادي

أثر السياق في دلالة المصدر علي الفاعلية أو المفعولية في القرآن الكريم

د . وحيد الدين طاهر عبد العزيز
مدرس النحو والصرف- كلية الآداب بقنا - جامعة جنوب الوادي

توطئة:

من الاتساع في اللغة أن تجيء الصيغة بلفظ الأخرى، أو أن تدل الصيغة الواحدة علي معنيين، سواء أكانا متقاربين أم متباينين أم متضادين، وهو ما عُرف بتعدد المعنى للمبنى، أو تعدد المعنى للفظ الواحد، فإن كان المعنيان متقاربين فالعلاقة بينهما علاقة ترادف، وإن كانا متباينين فالعلاقة بينهما تسمى المشترك اللفظي، أو يكون المعنيان متضادين فتكون العلاقة علاقة تضاد، وذلك كدلالة الصيغة علي الفاعلية والمفعولية معا أو أن يجيء المفعول بلفظ الفاعل، والفاعل بلفظ المفعول، ويكثر ذلك في القرآن الكريم، فعندما يتصدى أي نحوي لإعراب القرآن الكريم يبدأ بالاستعاذة، وفيها كلمة " الرجيم " وهي علي وزن " فعيل "، و " فعيل " في اللغة تجيء بمعنى (فاعل) أو بمعنى (مفعول) فيقول: (فعيل هنا بمعنى مفعول) أي مرجوم، معتمداً في ذلك علي كثير من المؤلفات، ولكن هل يستقيم هذا النهج مع كلام رب العالمين، أو بمعنى آخر هل من الصواب أن نقول عن صيغة في القرآن الكريم إنها هنا ليست على بابها وإنما هي بمعنى باب آخر ؟ لماذا لا تكون صيغة " رجيم " في الاستعاذة تحتمل الفاعلية والمفعولية معاً، ولماذا تحمل الصيغة علي معنى المفعولية . وإن كان أجلي وأرجح – ولا نفكر في فهم الصيغة بمعنى الفاعلية ؟ فإذا عُرف أن الرجم في اللغة بمعنى أن " يتكلم الرجل بالظن [1] (فاعلية) وقد قال الله تعالي: " رجما بالغيب " [2] علم أن الصيغة تحتمل الفاعلية والمفعولية معاً، فالشيطان مرجوم ولا يخفي ذلك علي أحد، وهو راجم يرجم الناس ويوسوس في صدورهم، ولأنه بالإغواء من الممكن أن يصل بالإنسان إلي ارتكاب كبيرة من الكبائر فيُرجم، الحق أن مفسري القرآن العظيم قد نهجوا في ذلك نهجين، فتارة يحكمون بتعدد دلالة الاسم المشتق كما فعل أبو حيان في تفسير لفظة (الفرقان) حين قال: " الفرقان مصدر في الأصل ... أريد به اسم الفاعل أي الفارق ويجوز أن يراد به المفعول أي

---

[1] القاموس المحيط [ر . ج . م] / ١٤٦٤ .

[2] الكهف ٢٢ .

المفروق " [١] واستند إلي قول ربنا " وقرآنا فرقناه لتقرأه علي الناس علــي مكــث " [٢]، وتارة ينحون باللفظة منحي محددا لا يقبل السياق إلاه، كما في تفسير قوله تعالي " بــديع السموات والأرض " [٣]، يقول الراغب: " والبديع يقال للمبدع " [٤] ويقول الزمخشــري " وقيل البديع بمعني المبدع " [٥]، ويقول العكبري: " بــديع الســموات أى مبــدعها " [٦]، والسياق في النهجين هو الضابط، والسياق نوعان نص وموقف (مقال ومقام)، وكلاهمــا يفيد في تحديد دلالة الاسم المشتق في القرآن الكريم، أما المقال فهــو الــنص أو الكــلام المقول الذي يسهم في التوصل إلي المعنى الدلالي الأكبر، وهو مجموع الألفاظ والتراكيب مع جمهرة القرائن اللفظية التي تنتمي إلي السياق المقالي وتسهم في التوصل إلي المعني كالإعراب والرتبة، والمناسبة والربط المادي والبنية التي هي أهم القرائن إســهامًا فــي التوصل إلي المعني هنا لأنها اللفظ محل الدراسة، وأما سياق المقام فهو كل مــا يحــيط بالنص من قرائن غير ملفوظة تصاحب الأداء اللغوي وتسهم في التوصــل إلــي المعنــي كالقرينة العقلية وحركات المتكلم والأحداث ذات العلاقة بالاتصال، والمواقف والاستجابات، وأسباب النزول في القرآن الكريم، وكل ما هو خارج اللفــظ المكتــوب، بالإضــافة إلــي الروابط المعنوية، أو الارتباط . وكل ما يجعل السياق متماسكاً من غير اللفظ [٧]، فإما أن

---

(١) البحر المحيط ٣٧٩/٢ .

(٢) الإسراء ١٠٦ .

(٣) البقرة ١١٧ .

(٤) المفردات في غريب القرآن ٣٨ .

(٥) الكشاف ١٨١/١ .

(٦) إملاء ما من به الرحمن ٦٠/١ .

(٧) انظر: قرينة السياق للدكتور تمام حسان ٣٧٥، وأثر السياق في مبني التركيب ودلالته (دراسة نصية من القرآن)، للدكتور فتحي ثابت علم الدين رسالة دكتوراه بكلية الدراســات العربيــة الإسلامية بالمنيا ١٩٩٤م ٥٩، ٦٠، ٦٢، واللغة لفندريس ترجمــة الــدواخلي والقصــاص مكتبة الأنجلو ١٩٥٠م، ٢٣١، وسياق الحال في الدرس الدلالي للدكتور فريد عوض حيــدر (تحليل وتطبيق) مكتبة النهضة المصرية ٣٠-٥٢، ودلالة السياق وأثرهــا فــي الأســاليب العربية، دردير محمد أبو السعود مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط العدد الســابع ١٤٠٧هــ ١٩٨٧م / ٥٠٧، ٥٠٩، والنحو والدلالة الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف (مدخل لدراســة المعني النحوي الدلالي)، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٨٣، ٩٨، ١١٣.

ينحو السياق بالاسم المشتق نحو أكثر من معني، وإما أن يحـدد معنـي معينـا للاسـم المشتق، ومثال الأول ما جاء في تفسير لفظة (الفرقان) ومثال الثاني ما جاء في تفسـير لفظة (بديع)، وهذا من إعجاز آيات القرآن العظيم وعليه فليس المقصود بأثر السياق في دلالة الاسم المشتق أن يوجب السياق دلالة واحدة فقط لهذا الاسـم المشـتق فـي كـل الأحوال، فقد يكون لهذا الاسم المشتق أكثر من معني علي حد سواء، وقد يكون له أكثـر من معني أو دلالة مع ترجيح إحدي الدلالات علي غيرها، وقد يكون له معنـي محـدد أو دلالة واحدة فقط، والذي يحدد ذلك كله السياق بنوعيه المقالي والمقامي، وسيتضح ذلـك أثناء دراسة الآيات.

وإذا كان الأمر كذلك فمنهج الوصفيين أجدر بالاتباع للفهم وتفسير المفـردات أو الصيغ في القرآن الكريم، لأنه يعمد إلي كلمات موجـودة بالفعـل، ويحـاول فهـم هـذه المفردات في سياقاتها قبل الحكم علي الصيغة أنها بمعني صـيغة أخـرى، فاستصـحاب الأصل عندهم أولي في الأخذ بالاعتبار، ثم يجيء بعد ذلك التفكير في العدول عن الأصـل أو خروج المفردة عن بابها إلي معني باب آخر، وهذا البحث محاولة لتوضيح أثر السياق في دلالة المصدر علي الفاعلية أو المفعولية، أقف فيه علي المصادر التي تعددت معانيها في القرآن الكريم، فالمصدر أصل المشتقات [1] الثمانية، وإنما قصرت هذا البحـث علـي المصادر دون غيرها من المشتقات كي يكون البحث محدداً، ففي القرآن عدد غفيـر مـن المشتقات يحتاج إلي مؤلفات لفهم دلالاتها المتعددة، وسأعمد في ذلـك إلـي ذكـر آراء العلماء في المصدر محل الدراسة ثم أذيل ذلك برأيي، من طريق التأويل، وهو ترجيح أحد المحتملات من غير قطع[2]، معتمداً علي منهج السياقيين الذي يعمد أصحابه إلي الجملـة فيفهمون معناها بوصف سياقاتها الموجودة فعلاً، وتنبني هذه المحاولة علي فهم الجـدل الذي دار بين العلماء فيما اصطلحوا علي تسميته بالترادف، وعلي فهم المشترك اللفظـي

---

(1) المصدر أصل المشتقات عند البصريين والجمهور، انظر: شرح المفصل لابن يعـيش ٦/٤٣، وشرح ابن عقيل ٢/٧٧.

(2) عقد الآلوسي بابا للكلام علي التفسير بالرأي ذكر فيه أن المنع شائع ولا دليل عليه، لأن فـي صحة الحديث الذي استند عليه المانعون نظراً، ولأن الدلالة علي جواز الرأي والاجتهاد فـي القرآن كثيرة وهي تعارض ما يشعر بالمنع. مفرقا بين التفسير والتأويل، وأن التأويـل هـو ترجيح أحد المحتملات دون قطع، انظر: روح المعاني ١/٤-٦.

فقد أنكر بعض العلماء الترادف بمعناه المطلق، منهم ابن فارس وشيخه ثعلب ومنهم من أنكره مطلقًا وهو أبو علي الفارسي ... ومنهم من جعله مظهرًا من مظاهر الغنى في اللغة الفصحى ... وكلا الاتهامين غير قائم وغير صحيح وليس الأمر إلا تراكباً للمعاني والتقاء جزئياً لمعني الكلمتين ثم افتراقا بين الكلمتين فيما عدا هذا الجزء من المعني [1]، " وأما المحدثون فيوسعون مفهوم المشترك اللفظي أكثر وأكثر لأنهم لا يشترطون الوضع من ناحية ولا الدلالة علي السواء من ناحية أخرى مما يسمح بإدخال تعدد المعني الناتج عن المجاز أو تطبيقات الاستخدام أو غيرهما " [2]، وقد انطلقتُ في بحثي هذا من قول أبي هلال العسكري " قال بعض النحويين: لا يجوز أن يدل اللفظ الواحد علي معنيين مختلفين حتى تضاف علامة لكل واحد منهما، فإن لم يكن فيه لذلك علامة أشكل وألبس علي المخاطب، وليس من الحكمة وضع الأدلة المشكلة، إلا أن يدفع لذلك ضرورة أو علة ولا يجيء في الكلام غير ذلك إلا ما شذ وقل " [3] .

وعندما يتعلق الأمر بآي الكتاب العزيز فالذي لا لبس فيه ولا جدال أن هذا الكتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير، والإحكام هو إتقان في التركيب ودقة في التعبير ليس كمثلهما شيء، لأن الأمر يتعلق بذات الله سبحانه، معني ذلك أن الآيات نُظمت نظماً دقيقاً محكما فلا يعتريها شيء من الخلل، وإذا كانت الآيات قد نظمت هذا النظم الدقيق وبإحكام بالغ من عند الحكيم الخبير فلا شك أن كل صيغة أو مفردة قد وضعت في موضعها بإحكام بالغ أيضاً، وعلي كل من يتصدي لفهم آيات الكتاب أو تفسيرها عليه محاولة فهم الآيات بمعاني مفرداتها وصيغها الموجودة بالفعل معجمياً ووظيفياً ودلالياً، رابطاً ذلك بأسباب النزول مراعياً المناسبة بين الآيات والمعاني العامة للسور القرآنية، قانعاً بأن كل صيغة أو لفظة وضعت ومعناها الأصلي بإحكام بالغ في موقعها، وأنه من الممكن أن تحتمل معني آخر بجوار معناها الأصلي وهو من إعجاز القرآن الكريم وضروب الاتساع في اللغة العربية، ومن أنماط دلالة المصدر في القرآن الكريم ما يأتي:

---

(1) انظر: الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري بتحقيق البارون ١٣ .

(2) الاشتراك والتضاد في القرآن الكريم للدكتور أحمد مختار عمر ١١ .

(3) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ١٨ .

المصدر الدال علي الفاعلية:

قال تعالي: " ختم الله علي قلوبهم وعلي سمعهم " (البقرة ٧)

السمع في الأصل مصدر سمع، ويري العكبري أن في تقديره وجهين [١]:

الأول: أنه استعمل مصدراً علي الأصل، وفي الكلام تقدير محذوف أي علي مواضع سمعهم، لأن نفس السمع لا يختم عليه، الثاني: السمع هنا بمعني السامعة أو الأذن، وفي القرطبي " فالسمع مصدر سمعت، والسمع أيضاً اسم للجارحة المسموع بها سميت بالمصدر"[٢] وفيه أيضاً " يحتمل أن يكون المعني وعلي مواضع سمعهم لأن السمع لا يختم عليه ودائماً يختم موضع السمع، فحُذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، وقد يكون السمع بمعني الاستماع " [٣]، وفي البيضاوي " ووحد السمع للأمن من اللبس واعتبار الأصل، فإنه مصدر في أصله والمصادر لا تجمع، أو علي تقدير مضاف مثل: وعلي حواس سمعهم " [٤] وفيه أيضاً " وقد يطلق مجازاً علي القوة الباصرة (أي الختم) وعلي العضو وكذا السمع، ولعل المراد بهما في الآية العضو لأنه أشد مناسبة للختم والتغطية " [٥] وفي عمدة الحفاظ " السمع في الأصل قوة في الأذن يدرك بها المسموعات، وهو أيضاً مصدر سمع يسمع فهو سامع " [٦]، وفي التحرير والتنوير " وإنما أفرد السمع، ولم يجمع كما جمع قلوبهم وأبصارهم إما لأنه أريد منه المصدر الدال علي الجنس، إذ لا يطلق علي الآذان سمع ... وإما لتقدير محذوف أي وعلي حواس سمعهم أو جوارح سمعهم " [٧]، وفي الطبري " فمعني الختم عليها (أي القلوب) وعلي الأسماع التي بها تدرك المسموعات " [٨]، وعلي تقدير السمع بمعني السامعة يكون المصدر بمعني

---

(١) انظر: إملاء ما من به الرحمن ١/١٥، دراسات لأسلوب القرآن الكريم للدكتور عبد الخالق عضيمة ٦/١٧٠ .

(٢) تفسير القرطبي ١/١٩٠ .

(٣) تفسير القرطبي ١/١٩٠ .

(٤) تفسير البيضاوي ١/٢٣ .

(٥) تفسير البيضاوي ١/٢٣ .

(٦) عمدة الحفاظ، للسمين الحلبي [س . م . ع] ٢/١٢٥٠ .

(٧) التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور ١/٢٠٦ .

(٨) تفسير الطبري ١/٨٧ .

اسم الفاعل، وهو تقدير أراد تابعاً للمعني المقصود في الآية وهو الختم علي السمع أو الاستماع لا علي الأذن السامعة فقد يختم علي العضو السامع فلا يحكم الختم، فإذا ختم علي مصدر الشيء أو أصله كان الختم أقوي وأكثر إحكاماً، أما قول العكبري" لأن نفس السمع لا يختم عليه"(١) فمردود عليه لأن الختم غيبي مجازي، ولأن الأمر يتعلق بذات الله، فإذا كان الختم أثراً مادياً يظهر علي الشيء ويعرفه البشر، فإن الختم علي الأصل أو مصدر الحاسة أقوي وأبلغ، وما ذلك علي الله ببعيد، ويؤيده قول محمد الطاهر بن عاشور: " وليس الختم علي القلوب والأسماع ولا الغشاوة علي الأبصار هنا حقيقة كما توهم بعض المفسرين فيما نقله ابن عطية بل ذلك علي طريق المجاز " (٢)، والسياق يقبل كلتا الدلالتين: المصدرية – وهو الأصل الأولي استصحابُهُ في الآية – ومعني الفاعلية الذي أراده معني تابعاً جديراً بالأخذ في الاعتبار، والختم في كلتا الدلالتين مجازي، واستصحاب الأصل في الآية أولي من العدول إلي الفاعلية ذلك أن قرينة التناص وهي إحدي قرائن السياق المقالي لها أكبر الأثر في ذلك، حيث يقول ربنا سبحانه في سورة الجاثية: " ويل لكل أفاك أثيم يسمع آيات الله تتلي عليه ثم يصر مستكبراً كأن لم يسمعها " (٣)، فقد وصف الدكتور فاضل السامرائي الأسماع هنا بأنها معطلة " (٤) ذلك أنهم يصرون مستكبرين علي عدم السماع لأن الله ختم علي سمعهم وأسماعهم، فكأنهم عطلوا أسماعهم استكباراً فعطلها الله بالختم عليها وعلى السمع، ويناسبه قول ربنا " إن الذين كفروا سواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون "، وتكرار (علي) في الآية " أدل علي شدة الختم في الموضعين " (٥)، وقد أثر السياق المقالي في دلالة الصيغة علي الفاعلة ذلك أن العطف معناه التشريك في الحكم، وعطف (سمعهم) علي قلوبهم معناه " أن الختم يناسب الأسماع كما يناسب القلوب إذ كلاهما يشبه بالوعاء ويتخيل فيه معني

(١) إملاء ما من به الرحمن ١/١٥ .

(٢) التحرير والتنوير ١/٢٥٤، وانظر التسهيل لعلوم التنزيل لأبي القاسم الغرناطي ٣٧، والفتوحات الإلهية ١/١٥ .

(٣) الجاثية ٧، ٨.

(٤) التعبير القرآني، للدكتور فاضل السامرائي، دار عمان الأردن ط٥/٢٠٠٧م، ٦٤ .

(٥) الكشاف للزمخشري ١/١٢٥ .

الغلق والسد " [1] وبذلك يكون الختم علي السمع والأسماع معاً، وهو أقوي وأبلغ، ويؤيد الجمع بين القلوب والسمع في الآية، والختم علي كليهما معا ختم علي المادي والمعنوي وفي ذلك مناسبة.

قال تعالي: " فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب " (آل عمران ١٨٨)

يقول العكبري: " يجوز أن تكون المفازة مصدراً فتتعلق من به، ويكون التقدير: فلا تحسبنهم فائزين، فالمصدر في موضع اسم الفاعل " [2]، ويقول القرطبي: " والمفازة المنجاة، مفعلة من فاز يفوز إذا نجا، أي ليسوا بفائزين"[3]، وفي البيضاوي " بمفازة بمنجاة من العذاب أي فائزين بالنجاة منه " [4]، وفي الطبري، " فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب فلا تظنهم بمنجاة من عذاب الله" [5]، وفي عمدة الحفاظ: " ولا تسحبنهم بمفازة من العذاب أي بمنجاة، وقيل ببُعدٍ وهذا من طريق اللازم لأنهم إذا نجوا منه بعدوا عنه " [6]، وفي الإرشاد: " بمفازة من العذاب أي ملتبسين بنجاة منه علي أن المفازة مصدر ؟ ..... ولا سبيل إلي جعلها اسم مكان علي أن الجار متعلق بمحذوف وقع صفة لها أي بمفازة كائنة من العذاب لأنها ليست من العذاب، وتقدير فعل خاص ليصح به المعني أي بمفازة منجية من العذاب مع كونه خلاف الأصل تعسف مستغني عنه " [7]، وفي التحرير والتنوير: " والمفازة مكان الفوز ... وحرف (من) معناه البدلية ... أو بمعني (عن) بتضمين مفازة معني منجاة " [8] وعلي تقدير (مفازة) بمعني (فائزين) يكون المصدر في الآية الكريمة بمعني اسم الفاعل، ولكن كيف يستقيم اسم الفاعل (فائزين) مع قوله تعالي (من العذاب) ؟ والفعل (فاز) لازم يتعدي بحرف الباء، يقال فاز فلان، وفاز بالشيء، ولا يُقال فاز من الشيء، إلا علي التضمين بمعني (نجا) وتأويل مفازة بفائزين، وتضمين كلمة

(1) التحرير والتنوير ١/٢٥٥ .
(2) إملاء ما من به الرحمن ١/ ١٦٢ .
(3) تفسير القرطبي ٤/٣٠٨ .
(4) تفسير البيضاوي ١/١٩٥ .
(5) تفسير الطبري ٤/١٣٩ .
(6) عمدة الحفاظ [ف . و . ز] ٣/٢٤٠١ .
(7) تفسير أبى السعود (إرشاد العقل السليم إلي مزايا الكتاب الكريم) ١/٤٦٢ .
(8) التحرير والتنوير ٤/١٩٤ .

(فائزين) معني (ناجين) فيه بُعْد وتكلف، وتفسير مفازة أنه موضع فوز ونجاة أولي بالأخذ في الاعتبار، أي فلا تحسبنهم بموضع فوز ونجاة من العذاب، وتعلق الجار والمجرور هنا وهما جزء من السياق المقالي أثر في تحديد معني مفازة بمعني موضع فوز ونجاة، وهذا التفسير يتناسب مع قوله تعالي: " ولله ملك السموات والأرض والله علي كل شيء قدير " (آل عمران ١٨٩) . أي فلا تحسبنهم بموضع فوز ونجاة من العذاب، كيف يجدون هذا الموضع ولله ملك السموات والأرض ؟ والسياق في الآيتين بليغ متماسك، وقد أثر بنوعيه في تحديد دلالة كلمة (مفازة)، فالآية الثانية تفصيل للأولي وبينهما علاقة مناسبة، والمناسبة بين الألفاظ هي إحدى قرائن السبك والحبك في السياق المقالي، وتعدي الفعل بالحرف وعدمه أثر مقالياً في تحديد دلالة الكلمة، بالإضافة إلي التجاور بين المفردات، وهذا المقام مقام تعذيب يُحتاج فيه إلي موضع فوز ونجاة، والقبضة محكمة علي المعذبين فلا يستطيعون الفوز أو الفرار من العذاب، وهذا يقوي مرجوحية الفاعلية .

قال تعالي: " وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون " (يونس ١٠١)

يقول أبو حبان: " النذر جمع نذير، إما مصدر فمعناه الإنذارات وإما بمعني منذر فمعناه المنذرون " [١]، وفي القرطبي: " والنذر أي الرسل، جمع نذير، وهو الرسول صلي الله عليه وسلم " [٢]، وفي أبي السعود: " والنذر جمع نذير علي أنه فاعل بمعني منذر أو علي أنه مصدر، أي لا تنفع الآيات والرسل المنذرون أو الإنذارات عن قوم لا يؤمنون" [٣]، وفي عمدة الحفاظ: " النذر جمع نذير، نحو رغيف ورغف، والمراد به المصدر وجمع لاختلاف أنواعه، قال الراغب والنذير المنذر، ويقع علي كل شيء فيه إنذار إنسانا كان أو غيره وجمعه النذر " [٤]، وفي الطبري: " وما تغني الحجج والعبر والرسل المنذرة عباد الله عقابه عن قوم سبق لهم من الله الشقاء وقضي لهم في أم الكتاب أنهم من أهل النار" [٥]، والنذير في اللغة هو المنذر والإنذار أيضاً [٦]، وقد جعل الدكتور أحمد مختار عمر كلمة نذير من المشترك اللفظي في القرآن الكريم بمعني اسم

---

[١] البحر المحيط ١٩٤/٥ .

[٢] تفسير القرطبي ٣٨٦/٨ .

[٣] تفسير أبي السعود ٥٣٠/٢ .

[٤] عمدة الحفاظ [ن . ذ . ر] ٢٦٠٢/٤ .

[٥] تفسير الطبري ١٢٠/١١ .

[٦] انظر القاموس المحيط ٦٦٨/١ ومختار الصحاح [ن . ذ . ر] ٢٩٦ .

الفاعل أي منذر وبمعني المصدر أي الإنذار [1]، مستنداً إلي قول ربنا: " وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً " (الإسراء ١٠٥)، أي منذرا ومحذرا، وقوله تعالي: " إنها لإحدي الكبر * نذيراً للبشر " (المدثر ٣٥، ٣٦) أي إنذاراً للبشر وعندي أن الصيغة تحتمل المصدرية والوصف معاً، ويكون المعني: وما تغني الآيات ولا المنذرون مع إنذاراتهم عن قوم صمموا علي عدم الإيمان، والنذير هو المنذر الذي جاء بالإنذارات، يقول تعالي في سورة الملك: " كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلي قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير " (الملك ٩)، يتضح معني النذير من إجابة أهل النار (فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء) أي من الإنذارات، وفي قولهم (إن أنتم إلا في ضلال كبير) الضمير للعاقل أي: إن أنتم أيها المنذرون – إلا في ضلال كبير، وفي ذلك يقول القرطبي: " قالوا بلي قد جاءنا نذير، أنذرنا وخوفنا، فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء أي علي ألسنتكم إن أنتم يا معشر الرسل " [2] إلا في ضلال كبير، وفي تفسير قول ربنا " فستعلمون كيف نذير " (الملك ١٧) يقول القرطبي " أي إنذاري، وقيل النذير بمعني المنذر يعني محمداً صلي الله عليه وسلم " [3]، والتناص بين هذه الآية وآيات سورة الملك أثر في الوصول إلي دلالة كلمة (نذر)، والتناص من قرائن السياق المقالي .

المصدر الدال علي المفعولية [4]:

قال تعالي: " كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي رزقنا من قبل " (البقرة ٢٥) يقول أبو حيان الأندلسي: " رزقا هنا هو المرزوق والمصدر فيه بعيد جداً لقوله (هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابهاً) فإن المصدر لا يؤتى به متشابهاً " [5] ويقول العكبري: "كلما رزقوا منها من ثمرة إلي قوله من قبل في موضع نصب علي الحال من الذين آمنوا تقديره مرزوقين علي الدوام، ويجوز أن تكون حالاً من الجنات في قوله تعالي (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار) [6] (البقرة ٢٥)،

---

[1] انظر الاشتراك والتضاد في القرآن الكريم ٦٨ .

[2] تفسير القرطبي ٢١٢/١٨ .

[3] تفسير القرطبي ٢١٧/١٨ .

[4] انظر دراسات لأسلوب القرآن الكريم ١٧١/٦ .

[5] البحر المحيط ١١٤/١، وانظر: الفتوحات الإلهية ٣٠/١ .

[6] إملاء ما من به الرحمن ٢٥/١ .

وفي القرطبي: " الرزق مصدر رزق يرزق رَزقا ورزقا، فالرزق بالفتح المصدر، وبالكسر الاسم وجمعه أرزاق، والرزق العطاء " (1)، وفي أبى السعود : " كأنه قيل كل وقت رزقوا مرزوقاً " (2)، وفيه أيضاً: " ورزقا مفعول بمعني المرزوق " (3) وجاء في عمدة الحفاظ أن الرزق يطلق تارة علي العطاء، وتارة علي ما يصل إلي الجوف ويتغذي به، ويطلق علي كل خبر وصل إلي صاحبه، والرزق في الأصل مصدر، ويطلق أيضاً علي المرزوق (4)، والرزق في اللغة معناه العطاء (5)، ومن كل ما تقدم يمكن القول إن الرزق في الآية الكريمة مصدر بمعني اسم المفعول، أي أن الصيغة تحتمل المصدرية والمفعولية، واستصحاب الأصل في الآية أولي بالأخذ في الاعتبار، وهو أن الرزق مصدر بمعني العطاء، بالإضافة إلي احتماله معني المفعولية، وإذا كان المصدر (رزقا) في الآية بمعني المرزوق هل يستقيم ذلك مع قول ربنا (من ثمرة) ؟ أليس المرزوق في الآية هو الثمر، والرزق في الآية مصدرًا بمعني العطاء؟ يقول القرطبي: " ورزقاً مصدره " (6)، أي أنهم في الجنة يعطون الثمار عطاء دون جهد أو نصب أو تدخل منهم أما قول أبي حيان " والمصدر فيه بعيد جداً لقوله هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها فإن المصدر لا يؤتي به متشابهاً " (7) فيحتاج إلي إنعام نظر لأن قول ربنا (هذا الذي رزقنا من قبل) يحتمل أن يعود علي الثمرة، يقول القرطبي: " هذا الذي رزقنا في الدنيا لأن لونها يشبه لون ثمار الدنيا"(8)، ويقول الطبري: " وإنما معناه هذا من النوع الذي رزقناه من قبل هذا من الثمار والرزق"(9)، وفي البيضاوي " ويحتمل أن يكون من ثمرة بيانا تقدم ... وهذا إشارة إلي نوع ما رزقوا " (10)، فإن قال قائل لو كان الكلام يعود علي الثمرة لما قال الله

---

(1) تفسير القرطبي ١/١٧٨ .

(2) تفسير أبي السعود ١/٨٥.

(3) تفسير أبي السعود ١/٧٥.

(4) انظر: عمدة الحفاظ [ر . ز . ق] ٢/١٠١٩، ١٠٢٠ .

(5) انظر لسان العرب [ر. ز. ق] ٥/٢٠٣ .

(6) تفسير القرطبي ١/٢٤٠ .

(7) البحر المحيط ١/١١٤.

(8) تفسير القرطبي ١/٢٤٠ .

(9) تفسير الطبري ١/١٣٤ .

(10) تفسير البيضاوي ١/٤٢ .

تعالي (هذا الذي) وقال (هذه التي)، والجواب أن (هذا الذي) يقصد بــه النــوع، ويكــون المعني: كلما رزقوا منها من نوع من الثمار رزقا قالوا هذا النوع الذي رزقنا مــن قبــل وأتوا به متشابها أي النوع، حيث يشتبه مع سابقه، وما هذا بذاك، هــذا وسـياق الآيــة المقالي اشتمل علي الفعل (رزقوا) أو بالأحرى علي مادة المصدر، وقد جاء الفعـل فــي التركيب الأفقي قبل المصدر، وهذا النمط التركيبي هو نمط المصدر، وهو مؤكـد لفعلــه، وهو معني مقصود في الآية، وهو أن الله سبحانه يعطي في الجنة عطاء غير منبنٍ علــي عمل، بخلاف قول ربنا " كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً " (آل عمــران ٣٧)، فالمفعولية هنا أجلي وأوضح، والسياق في كلتــا الآيتــين هــو الضــابط، ولــيس بالضروري أن تسهم القرائن مجتمعة في التوصل إلي المعني فقرينة الإعراب وهي قرينة لفظية من قرائن السياق المقالي باتت عاجزة أمام تبيين المعنــي المقصــود مــن كلمــة (رزقا)، فالكلمة منصوبة بالفتحة الظاهرة، وقد أعربها القرطبي مصــدراً [١]، فــي حــين أعربها البيضاوي مفعولاً به [٢] (ثانياً) وهي تصلح سياقياً لكليهما، في حين يتضــح أثــر هذه القرينة في الوصول إلي المعني المقصود من كلمة (رزقا) في آية (آل عمران) وهــو المفعولية بمعني المرزوق حيث تعرب الكلمة مفعولا به للفعل وجد، كما أن انتحاء طرائق العرب في التركيب له أكبر الأثر في وضوح السياقات الكلامية، فبغموض قرينة من قرائن السياق يكون السياق غامضاً، ويأتي الغموض لا من الســياق – خلافــاً لأحــد البــاحثين المعاصرين [٣] – وإنما من مخالفة الأعراف التركيبية، وهيئــات الجمــل المكونــة لهــذا السياق، إلا أن هذا الغموض قد يكون مفيداً أحياناً، فغموض إعراب كلمة (رزقاً) في الآية

---

[١] انظر تفسير القرطبي ١/٢٤٠ .

[٢] انظر تفسير البيضاوي ١/٤٢، والفتوحات الإلهية ١/٣٠، وروح المعاني ١/٢٣٠ .

[٣] هو الدكتور محمد أبو بكر لياس (كلية الآداب جامعة قاريونس)، يقول: " لا أحد ينكر ما للسياق من أهمية عظيمة في فك طلاسم الدلالة وانبهامهــا، وفــتح مغــاليق المعنــي وغموضه، ولكن ينبغي ألا نبالغ في الاحتفال بهذا السياق وفي التعويل عليه دائماً، إذ قد تفاجأ بأن السياق قد يكون في كثير من الأحيان السبب الأساسي في انغلاق المعني وغموضه، ويتجلي ذلك في الأحاجي والألغاز اللغوية، التي تقوم علي الغموض وانبهام المعني" (البنية اللغوية للمشترك اللفظي) بحث منشور في مجلة الباحث التي تصدر عن كلية إعداد المعلمين بوذان – جامعة التحدي (سرت) العدد الخامس والسادس ٢٠٠٦. ٢٠٠٧ & ٢٠٠٧، ٢٠٠٨ ص ٣٢١ .

السابقة جعل المعنى الدلالي لها متعدداً، وهو غموض إعراب لا غموض تركيب فتجاور المفردات سليم من الناحية التركيبية وكلا الإعرابين جائز، وبجواز كليهما تعدد الإعراب، ثم تعدد المعنى الدلالي للكلمة بين المصدرية والمفعولية، وهذا التعدد واضح من أقوال المفسرين وإعرابهم للكلمة، ولم يقو السياق علي التوجه باللفظة نحو وجهة محددة، ولو كان المرزوق هو المقصود تحديداً في الآية لما قال الله تعالي (رزقا) .

قال تعالي: " ففدية من صيام أو صدقة أو نسك " (البقرة ١٩٦)

يقول العكبري: " النسك في الأصل مصدر بمعني المفعول لأنه من نسك ينسك، والمراد به ها هنا المنسوك، ويجوز أن يكون اسما لا مصدراً " [١]، وفي القرطبي: " النسك جمع نسيكة وهي الذبيحة ينسكها العبد لله تعالي، وجمع أيضاً علي نسائك، والنسك العبادة في الأصل ... وقيل أن أصل النسك في اللغة الغسل، ومنه نسك ثوبه إذا غسله، فكأن العابد غسل نفسه من أدران الذنوب بالعبادة " [٢] . وفي الطبري: " نسك الرجل ينسك نسكا ونسيكة ومنسكا إذا ذبح نسكه، والمنسك اسم مثل المشرق والمغرب " [٣]، وفي عمدة الحفاظ: " النسيكة الذبيحة، وجمعها نسك، ... (وقيل): النسك الطاعة، وقال آخرون: النسك ما أمرت الشريعة به " [٤]، وفي البيضاوي: " من صيام أو صدقة أو نسك بيان لجنس الفدية " [٥]، وفي التحرير والتنوير: " النُّسك بضمتين وبسكون السين مع تثليث النون العبادة ويطلق علي الذبيحة المقصود منها التعبد وهو المراد هنا ... وأغلب إطلاقه علي الذبيحة المتقرب بها إلي معبود " [٦]، وباستقراء ما تقدم نجد أن كلمة نسك في الآية الكريمة تحتمل المصدرية (الحدث)، وتحتمل المفعولية بمعني المنسوك أو المذبوح وتحتمل الاسمية بمعني العبادة، وتحتمل أن تكون جمعا لنسيكة يقول الرازي: " والنسيكة الذبيحة والجمع نُسُك بضمتين " [٧]، وهذه الدلالات مقصودة في الآية الكريمة

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ٨٥/١ .

(٢) تفسير القرطبي ٣٨٦/٢ .

(٣) تفسير الطبري ١٧٢/٢ .

(٤) عمدة الحفاظ [ن . س . ك] ٢٦١٨/٤ و ٢٦١٩ .

(٥) تفسير البيضاوي ١١٠/١ .

(٦) التحرير والتنوير ٢٢٥/٢ .

(٧) مختار الصحاح [ن . س . ك] ٢٩٨ .

وهذا من إعجاز القرآن العظيم، وأري أن دلالة الكلمة علي الاسمية (العبادة) أرجح في هذا المقام، فالمقام مقام شعائر وعبادات ذلك أن الحاج إذا كان مريضاً أو به أذي من رأسه فلا يستطيع أن يؤجل الحلق حتى يبلغ الهدي محله ففدية من صيام أو صدقة أو نسك (ذبح الشاة) أي أن الصيغة جاءت في الآية بلفظ الاسمية لأن الذبح هنا شكل من أشكال العبادة، ويحتمل في غير هذا المقام ألا يكون عبادة، وبجوار الاسمية تحتمل الكلمة المفعولية والمصدرية، وأن تكون جمعا لكلمة (نسيكة)، وهذا من إعجاز القرآن أيضاً، هذا ولا يقوي السياق هنا أن يحدد قيمة واحدة بعينها، خلافا لرأي فندريس في أن "السياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها علي الكلمة بالرغم من المعاني المتنوعة التي بوسعها أن تدل عليها " [(١)]، ورأي الدكتور نصيف الجنابي الذي يري أن السياق يقوم ووضع الكلمة في التركيب اللغوي بتحديد دلالة الكلمة تحديداً دقيقاً مهما تعددت معانيها[(٢)]، وأري أن تعدد دلالة الكلمة يؤدي إلي تعدد الأهداف المقصودة، والمرجوة من وجودها في التركيب، وقد يكون هذا التعدد هدفا في حد ذاته إذا كانت كل دلالة من هذه الدلالات المتعددة مطلوبة في السياق، ولها قيمتها الخاصّة، بالشكل الذي لا يحدث غموضاً أو تعارضاً في المعني العام للتركيب، وهذا من ضروب الاتساع في اللغة، فثمة فرق بين تعدد الدلالة، وغموض الدلالة وانبهامها، أما تعدد الدلالة أو تعدد المعني للمبني فهو عنصر إيجاب تفيد منه اللغة أحياناً لتعدد احتمالات القصد من الكلام، وأما غموض الدلالة وانبهامها فهو عنصر سلب يُحسب علي التركيب، وينبغي أن يُتخلص منه بالبحث عن مسببات هذا الغموض، كما يُلحظ هنا أن كثيراً من علمائنا العرب مولعون بالفكر الحداثي الغربي الأمر الذي يجعلهم ينساقون وراء أحكام لغوية خاصة بلغة بعينها، ربما لا تنسحب علي لغتنا وفقهها العظيم، ويتضح ذلك بالمقارنة بين كلامي فندريس والجنابي السابقين. فهنالك ظواهر لغوية في لغتنا العربية لا يمكن بحال من الأحوال أن تكون موجودة في غيرها من اللغات، فلغتنا أكثر اللغات اتساعاً، وأعظمها قدراً، وكونها لغة القرآن كاف في

---

(١) اللغة لفندريس، ترجمة الدواخلي والقصاص مكتبة الأنجلو ١٩٥٠م، ٢٣١ .

(٢) انظر: ظاهرة المشترك اللفظي ومشكلة غموض الدلالة، للدكتور أحمد نصيف الجنابي، بحث منشور بمجلة المجمع العلمي العراقي، الجزء الرابع، المجلد الخامس والثلاثون، تشرين الأول ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م، ٣٦١ و ٣٩٨ و ٤٠٠ و ٤٠١ .

ذلك، إلا أن ذلك ينبغي أن يقابل بدراسات بحثية موسعة. فليس من المعقـول أن تنسـب النظريات اللغوية المسماة بالحديثة إلي الغرب وهي في كتبنا منذ مئات السنين، هذا وقـد أقر المفسرون بإمكانية تحمل السياق لأكثر من دلالة للمفردة الواحدة علي حـد سـواء، ومنهم الزمخشري والآلوسي وأبو حيان [1] في معرض حديثهم عن دلالة (أمين) وأنهـا تحتمل المبالغة بمعني فاعل أي الآمن أو المفعولية بمعني مأمون أو من الأمانة، ثم أقـر الدكتور فاضل السامرائي [2] في تفسير سورة التين بأن هذه المعاني كلها مجتمعة مـرادة ومطلوبة . وبالنظر إلي سياق الآية المقالي نجد كلمة (نسك) عطفت علي كلمتي (صـيام) و (صدقة) وفي ذلك مناسبة، فكلمة (صيام) مصدر، وكلمة (صدقة) تطلق علي المتصـدق به بمعني المفعولية، وعطف (نسك) علي هاتين الكلمتين يجعلها تحتمل هذين المعنيين، " فالكلمة إذا وقعت في سياق ما لا تكتسب قيمتها إلا بفضل مقابلتها لما هو سابق ولما هو لاحق بها أو لكليهما معاً " [3] (سياق المقال) .

قال تعالي: " وإذا تولي سعي في الأرض ليفسد فيها ويُهلك الحرث والنسل " (البقرة ٢٠٥)

يقول أبو حيان الأندلسي: " والإطلاق علي الولد نسلاً من إطلاق المصـدر علـي المفعول يسمي بذلك لخروجه من ظهر الأب، وسقوطه من بطن الأم بسرعة " [4]، وفـي القرطبي: " الحرث في اللغة الشق ومنه المحراث لما يشق به الأرض، والحـرث كسـب المال وجمعه ... والحرث الزرع، والحراث الزراع ... والنسل ما خرج من كل أنثي مـن ولد، وأصله الخروج والسقوط [5]، وفي عمدة الحفاظ: " ويهلك الحرث والنسل، قيـل أراد الزرع وقيل النساء سماهن حرثا كما في قوله تعالي (نساؤكم حرث لكم) (البقـرة ٢٢٣)، ويرشحه قوله (والنسل) قيل نزلت في الأخنس بن شَريق مـر بـزرع فأحرقـه وعقـر

---

[1] انظر الكشاف ٣٤٨/٣ وروح المعاني ١٧٣/٣ والبحر المحـيط ٤٩٠/٨ والتعبيـر القرآنـي للسامرائي ٣٤٠ .

[2] انظر: التعبير القرآني ٣٤١ .

[3] (دروس في الألسنية العامة) فردينان دي سوسير، تعريب صالح القرماوي ومحمد الشاوش، ومحمد عجينة الدار العربية للكتاب ١٨٦ .

[4] البحر المحيط ١٠٨/٢ .

[5] تفسير القرطبي ١٨/٣ .

دوابه"(1)، وفي التحرير والتنوير، " والحرث هنا مراد منه الزرع، والنسل أطفال الحيوان مشتق من نسل الصوف نسولا إذا سقط وانفصل " (2)، وفي أسباب النزول للسيوطي، " نزلت في الأخنس بن شريق الثقفي جاء إلي رسول الله – صلي الله عليه وسلم – وأظهر الإسلام، وفي باطنه خلاف ذلك " (3)، وبإطلاق النسل علي المنسول، والحرث علي المحروث، في رأي العلماء، يكون المصدر في الآية بمعني اسم المفعول، وقبل الخوض في تبيين معنى الحرث والنسل ينبغي أن أشير هنا إلي أن السمين الحلبي طبق نظرية السياق بشقيها المقالي والمقامي في تفسير هاتين المفردتين، وإن كان كتابه معجما لتفسير الألفاظ القرآنية لكنه لم يعزل هذه المفردات عن سياقاتها التي جاءت فيها تماما كما فعل الراغب الأصبهاني في مفرداته الأمر الذي حد بالزركشي أن يثني علي طريقته في التفسير حيث قال: " وهذا يعتني به الراغب كثيراً في كتاب المفردات فيذكر قيدا زائدا علي أهل اللغة في تفسير مدلول اللفظ، لأنه اقتنصه من السياق " (4) فقد استعان الحلبي بالسياق المقالي (بالتناص تحديداً) عندما أتي بقول ربنا (نساؤكم حرث لكم)، واستعان بالسياق المقامي عندما تعرض لسبب نزول الآية وأسباب النزول سياق مقامي، والمصدرية أنسب لمعني الحرث والنسل، لأن الآية نزلت في الأخنس بن شريق الذي أظهر الإسلام وفي باطنه خلاف ذلك، والقرآن يبين أن الذي يظهر الإسلام ويبطن خلافه أكثر ضرراً علي الإسلام، لذا قال ربنا في الآية السابقة علي هذه الآية: " ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله علي ما في قلبه وهو ألد الخصام " (البقرة ٢٠٤)، فالذي يفعل ذلك إنما يهلك أصل الشيء وهو الحدث المنبثق عنه هذا الشيء وليس الشيء نفسه، فإذا هلك الأصل هلك المنبثق عنه وفي هذا مبالغة في الهلاك، ولذا بالغ ربنا في الوصف فقال (وهو ألد الخصام)، وهلاك النسل المنبني علي إبطال حدث التناسل أقوي من المنبني علي هلاك المنسولين، حيث لا يكون نسل بلا تناسل، وإهلاك حدث الحرث أقوي من إهلاك المحروث له، وثمة مناسبة بين سبب النزول وتعدد المعني

---

(1) عمدة الحفاظ [ح . ر .ث] ٦٢٩/١ .

(2) التحرير والتنوير ٢٧٠/٢ .

(3) أسباب النزول للسيوطي ٦٠ .

(4) البرهان في علوم القرآن للزركشي بتحقيق (محمد أبو الفضل إبراهيم) ١٧٢/٢ .

الدلالي للكلمة، فالآية نزلت في الأخنس، والأخنس يظهر ما لا يبطن فهو ذو وجهين وكذلك المصدر فهو أصل الحدث وهو بمعني المفعولية أي أن المفردة في الآية بوجهين المصدرية والمفعولية، فناسب التعددُ التعددَ، هذا وقد ناسبت المصدريةُ مصدرَ إهلاك الحرث والنسل وهو عداء الأخنس للإسلام، " فالفهم عن طريق الوقوف علي تلك الظروف والملابسات عملية تتم قبل الفهم للنص اللغوي أو العبارة المنطوق بها " [1]

(سياق المقام)

قال تعالي: " كتب عليكم القتال وهو كره لكم " (البقرة ٢١٦)

في البحر المحيط " أي مكروه، فهو من باب النقض بمعني المنقوض، أو ذو كره إذا أريد به المصدر فهو علي حذف مضاف أو جُعل نفس الكراهة " [2]، وفي القرطبي: " قوله تعالي (وهو كره لكم) ابتداء وخبر وهو كره في الطباع، قال ابن عرفة: الكره المشقة، والكَره بالفتح ما أكرهت عليه، وهذا هو الاختيار ويجوز الضم في معني الفتح فيكونان لغتين، يقال: كرهت الشيء كَرها وكرُها وكراهة وكراهية " [3]، وفي البيضاوي: " شاق عليكم مكروه طبعا وهو مصدر نعت به للمبالغة أو فعل بمعني مفعول كالخبز، أو بمعني الإكراه علي المجاز كأنهم أكرهوا عليه لشدته وعظم مشقته " [4] وفي عمدة الحفاظ: " قرئ في المتواتر والفتح والضم فقيل هما بمعني الضعف والضعف، وقيل المفتوح ما ينال الإنسان من المشقة من خارج ما يحُلُّ عليه بإكراه، والكره ما ينال من ذاته وهو ما تعافه، وذلك علي نوعين: أحدهما ما يعافه من حيث الطبع، والثاني ما يعافه من حيث العقل والشرع ... وعلي الأول قوله تعالي (كتب عليكم القتال) ... أي من حيث الطبع " [5] وفي لسان العرب الكره المشقة [6]، وبذلك تكون كلمة (كُره) محتملة المصدرية واسم المفعول فهي مصدر بمعني اسم المفعول، وجاء اللفظ بصيغة المصدرية

---

[1] دلالة الألفاظ، لإبراهيم أنيس، الأنجلو ١٩٨٠، ٤٥ .

[2] البحر المحيط ١٤٣/٢ .

[3] تفسير القرطبي ٣٨/٣ و ٣٩ .

[4] تفسير البيضاوي ١١٧/١، وانظر: التسهيل لعلوم التنزيل ٧٨ .

[5] عمدة الحفاظ [ك . ر . هـ] ٢٢٥٦/٣ و ٢٢٥٧ .

[6] انظر: لسان العرب ٨٠/١٢ .

لأن الكره في اللغة معناه المشقة والكراهة في القتال نابعة في الأصل من المشقة التي فيه، وأن الإنسان يعافه من حيث الطبع كما جاء في عمدة الحفاظ، والمصدرية هنا أبلغ من المفعولية فقد يكون الشيء مكروها ويقدم الإنسان عليه لحاجة، فإن كان مصدر الكراهة فالأمر يحتاج إلي تدبر، كما أن مكروهية القتال معروفة، وعليه فالمعني: كتب عليكم القتال وهو رأس المشقة والكراهة أو مصدرها ليبتليكم في ذلك، ولو قال ربنا (كتب عليكم القتال وهو مكروه لكم) لم يكن الكلام معجزا لأن القتال مكروه ولا يخفي ذلك علي أحد، هذا واشتمل سياق الآية المقالي علي اللفظ (كُتِبَ) وهو هنا بمعني (فرض) والفروض ارتبطت في القرآن الكريم بالأشياء الشاقة، مما يرجح المصدرية، وقول ربنا (وهو كره) أبلغ من القول (وهو مكروه) لأن معناه أنه هو الكره نفسه، فلكثرة المشقة التي فيه صار مصدراً للكراهة، وعليه أصبح ثواب الجهاد عظيماً، وهو ما اشتمل عليه سياق الآيات فيما بعد .

قال تعالي: " من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً " (البقرة ٢٤)

يقول العكبري: "يجوز أن يكون القرض هنا بمعني المقروض كالخلق بمعني المخلوق فيكون مفعولاً به " [١]، ويقول أبو حيان: " وانتصب قرضاً علي المصدر الجاري علي غير الصدر فكأنه قيل إقراضاً، أو علي أنه مفعول به؛ فيكون بمعني مقروض ... كالخلق بمعني المخلوق " [٢]، وفي القرطبي: " القرض: اسم لكل ما يلتمس عليه الجزاء ... وقال الكسائي: القرض ما أسلفت من عمل صالح أو سيئ وأصل الكلمة القطع ... والقرض ههنا اسم ولولاه لقال إقراضاً" [٣] وفي البيضاوي: " قرضا حسنا إقراضا حسنا مقرونا بالإخلاص وطيب النفس " [٤]، وفي عمدة الحفاظ: " مراد به الصدقة (واجبها ومندوبها) وسماه قرضا تكرما منه، وتطيبا للمتصدقين، وأن ما يعطونه من الصدقة علي الوجه المطلوب . وهو المراد بقوله حسنا – لابد أن يرجع إليهم بدله، وأنه لا يضيع علي

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ١/١٩٤ .

(٢) البحر المحيط ٢/٢٥٢ .

(٣) تفسير القرطبي ٣/ ٢٣٩ و ٢٤٠ .

(٤) تفسير البيضاوي ١/١٢٩، وانظر: التحرير والتنوير ١/٢٧٧ .

ما يتعارفونه فيما بينهم .. وقرضا في الآية مصدر علي حذف الزوائد (اسم المصدر) [١]، وبدلالة القرض علي المقروض يقال هنا (المصدر بمعني اسم المفعول)، ودلالة الكلمة علي المصدرية أبلغ لأن المقصود من الإقراض كل شيء يقدمه العبد ابتغاء مرضاة الله معنوياً كان أو مادياً، وللاهتمام بالإقراض لا بالشيء المقروض، كما أن كلمة (قرضا) في سياق الآية الكريمة وصفت بـ (حسنا) لتكون (حسنا) صفة للمصدر بمعني الإقراض بإخلاص وعن طيب نفس، ولتكون أيضاً صفة للمقروض، بمعني أن يكون قد أتي به العبد من طرقه الشرعية، فقد يكون المقروض حسنا والإقراض غير حسن، وقد يكون العكس، والأصل في القرض أن يجتمع فيه حسن الإقراض والمقروض، ودلالة (قرضا) علي المصدر واسم المفعول ثم وصفها بـ (حسنا) معجز في ذلك ليجتمع حسن الإقراض والمقروض معاً، ولو قال ربنا (مقروضا حسنا) لانتفى هذا الجمع، كما أن (حسنا) أكدت احتمال كلمة (قرضا) للمصدرية والمفعولية معاً، وبذلك تضافر كل من السياق المقالي ممثلاً في قرينة الوصف، والسياق المقامي ممثلاً في الاهتمام بالإقراض وملابساته لتبيين دلالة الكلمة علي المصدرية والمفعولية .

قال تعالي: " ويتفكرون في خلق السموات والأرض " (آل عمران ١٩١)

يقول أبو حيان: " يحتمل خلق أن يراد به المصدر، فإن الفكرة في الخلق لهذه المصنوعات الغريبة الشكل، والقدرة علي إنشاء هذه من العدم الصرف يدل علي القدرة التامة والعلم . ويحتمل . يراد به المخلوق ويكون أضافه من حيث المعني إلي الظرفين لا إلي المفعول به " [٢]، ويقول العكبري: " الإشارة في قول ربنا (ما خلقت هذا باطلاً) إلي الخلق المذكور في قوله (خَلْق السموات) وعلي هذا يجوز أن يكون الخلق مصدراً، وأن يكون بمعني المخلوق، ويكون من إضافة الشيء إلى ما هو هو في المعني" [٣]، وفي عمدة الحفاظ: " والخلق مصدر أراد به المخلوق كقول (هذا خلق الله) (لقمان ١) والخَلق والخُلق بمعني إلا أن الخَلق اختص بالهيئات والصور والأشكال

---

(١) عمدة الحفاظ [ق . ر . ض] ٢٠١١/٣ & ٢١١١ .

(٢) البحر المحيط ١٣٩/٣ .

(٣) إملاء ما من به الرحمن ١٦٢/١ و ١٦٣ .

المدركة بالبصر " [1]، وفي عمدة الحفاظ أيضاً: " أصل الخلق التقدير المستقيم، ويستعمل في إبداع الشيء من غير أصل ولا احتذاء، كقوله (خلق السموات والأرض) (الأنعام ١)، (ومثله بديع السموات والأرض) (البقرة ١١٧) . وإذا كان بمعني الإبداع فهو يختص بالباري ... ويستعمل في إيجاد شيء من شيء قال تعالى (خلقكم من نفس واحدة) (النساء ١) [2]، وفي البيضاوي " وهذا إشارة إلي المتفكر فيه أي الخلق علي أنه أريد به المخلوق من السموات والأرض أو إليهما لأنهما فى معنى المخلوق والمعنى ما خلقته عبثاً ضائعاً من غير حكمة بل خلقته لحكم عظيمة"[3]، وفي التحرير والتنوير: " والمراد بخلق السموات والأرض هنا إما آثار خلقها وهو النظام الذي جعل فيها، وإما أن يراد بالخلق المخلوقات " [4] ويري القرطبي أن في (خلق): " دليل التوحيد وأن هذا العالم والبناء العجيب لابد له من بان وصانع، وجمع السموات لأنها أجناس مختلفة ... ووحد الأرض لأنها كلها تراب"[5]، وفي الطبري: " خلق الشيء صفة له لا هي هو ولا غيره ... وقال آخرون: خلق السموات والأرض وخلق كل مخلوق هو ذلك الشيء بعينه لا غيره فمعني قوله (إن في خلق السموات والأرض) إن في السموات والأرض " [6]، وباستقراء كل ما تقدم نلحظ أن (خلق) في الآية تحتمل المصدرية بمعني الإنشاء والإبداع، وتحتمل المفعولية بمعني المخلوق، وأن من العلماء من يسوي بين الخلق والمخلوق فهما كالشيء الواحد، وأري أن هذه الكلمة أينما حلت في كتاب الله تقتضي التفكر في: الشيء المخلوق لأنه دليل قدرة، ثم عملية الإنشاء أو الإبداع أو القدرة بعينها، ومن ثم التفكر في الخالق سبحانه، فكل مخلوق لابد له من خالق، وخالق المخلوقات جميعا هو الله، وهو التوحيد الذي تحدث عنه القرطبي، فالتفكير في المخلوق وكيفية الخلق معا يؤدي إلي التفكير في الخالق ومن ثم توحيده وإفراده بالعبادة، والإتيان بالمصدر في سياق الآية

---

[1] عمدة الحفاظ [خ . ل . ق] ٢/٨٤٤ .

[2] عمدة الحفاظ [خ . ل . ق] ٢/٨٤١ و ٨٤٢ .

[3] تفسير البيضاوي ١/١٩٥ .

[4] التحرير والتنوير ٤/١٩٦ .

[5] تفسير القرطبي ٢/١٩٢ .

[6] تفسير الطبري ٢/٣٨ .

بليغ في ذلك للتفكر في الخلق والمخلوق معاً، فالتفكير في المخلوق فقط أو إفراط التفكر فيه دون الإيمان بالخلق والخالق هو العلمانية المادية التي تسيطر علي العالم الغربي حالياً، ومن القواعد النحوية المقررة أنه " لا يضاف اسم لما به اتحد في المعني " [1] . فإذا كانت (خلق) بمعني المخلوق فكيف تضاف إلي السموات والأرض ؟ إلا علي اعتبار الإضافة بمعني الظرفية أي ويتفكرون في المخلوقات التي في السموات والأرض، وهو ما فكر فيه أبو حيان، ولكن هذا التفكير يُخرج السموات والأرض من بين الأشياء المطلوب التفكير فيها، وهذا لا يناسب سياق الآيات، فقد أثبت العلم الحديث العلاقة الرائعة بين القدرة في خلق السموات والأرض من حيث دوران الأرض في السموات حول الشمس وعلاقة ذلك باختلاف الليل والنهار الأمر الذي يرجح المصدرية علي المفعولية في هذا السياق، وبذلك تضافر السياق المقالي المتمثل في المناسبة بين المفردات والجمل والتجاور بين المضاف والمضاف إليه ومعني الإضافة، والسياق المقامي المتمثل في الدراسات العلمية الحديثة لتبيين أرجحية المصدرية علي المفعولية في دلالة كلمة (خلق)، فلا السماء وحدها ولا الأرض وحدها (وهما مخلوقان من المخلوقات) تقدر أن تؤثر في اختلاف الليل والنهار، والاختلاف نابع من حدث خلقهما معا ومن دوران الأرض حول الشمس وهو القدرة التامة التي تحدث عنها أبو حيان في تفسيره لدلالة هذه الكلمة .

قال تعالي: " وشروه بثمن بخس دراهم معدودة " (يوسف ٢٠)

يقول العكبري: " بخس مصدر في موضع المفعول أي مبخوس أو ذي بخس " [2] . ويقول أبو حيان: " بخس مصدر وصف به معني مبخوس ... وقال قتادة بخس ظلم لأنهم ظلموه في بيعه، وقال ابن عباس وقتادة أيضاً في آخرين بخس حرام، وقال ابن عطاء إنما جعله بخسا لأنه عوض نفس شريفة لا تقابل بعوض " [3]، وفي القرطبي: " بثمن بخس أن نقص، وهو هنا مصدر وضع موضع الاسم، أي باعوه بثمن مبخوس أي منقوص، ولم يكن قصد إخوته ما يستفيدونه من ثمنه، وإنما كان قصدهم ما يستفيدونه من خلو وجه أبيهم عنه ... وقال قتادة بخس ظلم وقال الضحاك ومقاتل والسُدي وابن

---

(١) شرح ابن عقيل علي ألفية ابن مالك ٣/٢٤ .

(٢) إملاء ما من به الرحمن ٢/٥١ .

(٣) البحر المحيط ٥/٢٩١، وانظر: الفتوحات الإلهية ٢/٤٤٢ و ٤٤٣ .

عطاء: بخس حرام " (1)، وفي معاني القرآن: " وإنما قيل معـدودة ليستدل بـه علـى القلة"(2)، وفي عمدة الحفاظ: " وشروه بثمن بخس قال الهروي أي بثمن ظلم، لأنـه حـر بيع ظلماً، وقال الراغب باخس أي ناقص، وقيل مبخوس أي منقوص " (3)، وفي التحرير والتنوير: " والبخس أصله مصدر بخسه إذا نقصه عن قيمة شيئه، وهـو هنـا بمعنـى المبخوس، كالخلق بمعني المخلوق " (4)، أي أن (بخس) فـي الآيـة الكريمـة بمعنـى المبخوس أو المنقوص، ولو قال ربنا سبحانه وتعالي (وشروه بثمن مبخوس) لما كانـت هذه المعاني المجتمعة، وهي مرادة مطلوبة في الآية، فكلمة (بخس) تحتمـل المصـدرية بمعني ظلم، وبمعني حرام، وتحتمل اسم المفعول بمعنى مبخوس، أي منقوص من قـدره، ويمكن القول إن المصدرية تخص إخوة يوسف الذين ظلموه وارتكبوا حراما فهـي تبـين الظلم الذي وقع علي يوسف من إخوته عندما أجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب، واسـم المفعول يخص السيارة الذين جعلوا الثمن مبخوسا وكانوا فيه من الزاهدين ولم يتعمـدوا ظلمه لأنهم لا يعرفونه (وهم له منقذون)، وهو من إعجاز القرآن العظيم، كما يمكـن أن تكون (بخس) محتملة للمصدرية من جهتين الأولي من جهة إخوته الذين ظلموه بإلقائـه في الجب، والثانية من جهة السيارة الذين ظلموه بإنقاص ثمنه، وفـي احتمـال اللفظـة لمعني (الحرام) ووصف كلمة (ثمن) بها دلالة علي أن الدراهم المذكورة في الآية حـرام لانبنائها علي حرام، لأن إلقاء إخوة يوسف له في الجب حـرام، وبيـع السـيارة لـه أو تعويض نفس شريفة لا تقابل بعوض بدراهم قليلة معدودة حرام، وفي كل هـذه المعـاني مجتمعة مزيات فريدة ومقاصد جليلة .

قال تعالي: " ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض " (النمل ٢٥)

يقول أبو حيان: " الخبء مصدر أطلق علي المخبـوء وهـو المطـر والنبـات وغيرهما مما خبأه تعالي في غيوبه " (5) . وفي الطبري: " ويعني بقوله يخـرج الخـبء

(1) تفسير القرطبي ١٥٥/٩، وانظر: تفسير الطبري ١٠٢/١٢ .

(2) معاني القرآن للفراء ٤٠/٢ .

(3) عمدة الحفاظ [ب . خ . س] ٢٥٧/١ .

(4) التحرير والتنوير ٢٤٤/١٢ .

(5) البحر المحيط ٦٩/٧ .

يخرج المخبوء في السموات والأرض من غيث في السماء ونبات في الأرض " [1]، وفي الطبري: " خبء السماء قطرها وخبء الأرض كنوزها ونباتها، وقال قتادة الخبء السر، النحاس: وهذا أولى أي ما غاب في السموات والأرض " [2]، وفي عمدة الحفاظ: " الخبء كل غائب وقيل مدخر مستور وقيل المراد السر وقيل خبء السماء المطر، وخبء الأرض النبات"[3]، وفي البيضاوي: " والخبء ما خفي في غيره وإخراجه وإظهاره، وهو يعم إشراق الكواكب وإنزال الأمطار، وإنبات النبات، بل الإنشاء فإنه إخراج ما في الشيء بالقوة إلى الفعل والإبداع " [4]، أي أن الخبء تحتمل المصدرية وتحتمل اسم المفعول، وجاءت في الآية بلفظ المصدر ليعتبر كل إنسان بقدرة الله في صنع وتقدير الأشياء كيف صنعت ؟ ثم يعتبر بعد ذلك بالشيء المصنوع، ولا شك أن الصناعة أهم من المصنوع، والخلق أعظم من المخلوق، فعمال المناجم مثلاً يستخرجون خبء الأرض من الفحم وما شابهه وهو مخبوء، ولكن هل يستطيعون خلقه أو تكوينه أو خلق ما شابهه من الذهب وخلافه ؟ كما أن الله سبحانه وتعالى تحدي البشر بآيتين من آيات قدرته فلا يقوي أحد أن ينزل خبء السماء وهو المطر، أو يخرج خبء الأرض وهو النبات، وفي ذلك يقول ربنا: " أفرءيتم ما تحرثون * ءأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون " (الواقعة ٦٣ و ٦٤)، ويقول تعالى: " أفرءيتم الماء الذي تشربون * ءأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون " (الواقعة ٦٨ و٦٩)، وسياق آيات الواقعة يتحدث عن القدرة في الخلق والبعث والحساب، وإخراج المخبوء من السماء والأرض، والتناص بين آيات الواقعة، وآية النمل أثر في احتمال الكلمة للمصدرية والمفعولية والتناص من قرائن سياق المقال، فالقرآن وَحدة واحدة متماسكة كما يقول الرازي في تفسيره الكبير: " القرآن كالسورة الواحدة لاتصال بعضه ببعض، بل هو كالآية الواحدة " [5]، ومن إعجاز القرآن الكريم المعاقبة بين

---

[1] تفسير الطبري ٩٣/١٩ .

[2] تفسير القرطبي ١٨٧/١٣ .

[3] عمدة الحفاظ [خ . ب . أ] ٧٧١/٢ .

[4] تفسير البيضاوي ١٧٥/٢ .

[5] التفسير الكبير لفخر الدين الرازي المطبعة البهية مصر ٢١٤/٣٠ وانظر ٣١٩/٣٠ و ٣٢ / ١٠٤ .

(في) و (من) في الآية الكريمة، وفي ذلك يقول الطبري: " وقيل يخرج الخبء في السموات والأرض، لأن العرب تضع (من) مكان (في) و (في) مكان (من) في الاستخراج"[1]، ذلك أن المطر ينزل من السماء فيناسبه الحرف (من) والنبات يخرج في الأرض، فيناسبه الحرف (في)، والمعاقبة بين (من) و (في) معجزة في الآية، كما أن تضافرا من نوع خاص في الآية يحدث بين المخبوءين فعندما يسقط المطر تبدأ الأرض في الإنبات، وقد عبر الهدهد عن معرفته لقدرة الله في الخلق من خلال الشيء الذي يعرفه وهو الحب والنبات والمطر، وهذه دعوة للتفكر في الخلق والإنشاء ثم التفكر في المخلوق، ودلالة المصدر علي المفعولية أنسب لذلك .

قال تعالي: " فالِقُ الإصباح وجعلَ الليلَ سكنا والشمسَ والقمرَ حسبانا " (الأنعام ٩٦)

في البحر المحيط: " والسكن فَعَل بمعني مفعول، أي مسكون إليه " [2]، وفي عمدة الحفاظ: " والسكن ما يسكن إليه " [3]، وفي القرطبي: " والسكن كل ما سكن إليه ... وهو محل السكون، وسكن إليه يسكن سكونا " [4]، وفي البيضاوي: " يسكن إليه التَّعِبُ بالنهار لاستراحته فيه مَن سَكَن إليه إذا اطمأن إليه، استئناسا به، أو يسكن فيه الخلق " [5]، وفي التحرير والتنوير: " السكن بالتحريك علي زنة مرادف اسم المفعول مثل الفلق علي اعتباره مفعولا بالتوسع بحذف حرف الجر، وهو ما يسكن إليه، أي تسكن إليه النفس، ويطمئن إليه القلب، والسكون فيه مجاز ... فمعني جعل الليل سكنا أنه جعل لتحصل فيه راحة النفس من تعب العمل " [6]، أي أن المصدر (سكن) في الآية بمعني (اسم المفعول)، وجاءت (سكنا) بلفظ المصْدرية لئلا يتوهم القارئ أو السامع أن المقصود هو الزمان المسكون إليه فقط دون الحدث، فقد يكون زمان ولا سكن فيه، وليكون الليل هو مصدر السكن أو هو السكن نفسه، وكل مشتقات هذه المادة جاءت في القرآن الكريم

---

(١) تفسير الطبري ١٩/٩٤ .

(٢) البحر المحيط ٤/١٨٦ .

(٣) عمدة الحفاظ [س . ك . ن] ٢/١٢٣٠ .

(٤) تفسير القرطبي ١/٢٩٨ .

(٥) تفسير البيضاوي ١/٣١٣ .

(٦) التحرير والتنوير ٧/٣٩١ ؟

تحمل معني الطمأنينة والراحة والاستكانة والسكون وجميعها من الممكن أن تحتمله (سكنا) في الآية، بجوار المفعولية وهي أن الليل مسكون إليه، وقد تكون (سكنا) بمعنى الفاعلية أي (ساكنا) فيُستراح فيه لما فيه من السكون أو لكونه ساكنا في ذاته .

قال تعالي: " وجني الجنتين دان " (الرحمن ٥٤)

في البحر المحيط: " الجني ما يقطف من الثمرة، وهو فَعَل بمعني مفعول " [1]، وفي عمدة الحفاظ: " والمجتني من ثمرها قريب، فالجني مصدر واقع موقع المفعول، وقيل هو فَعَل بمعني مفعول كالقبض والنقص والجَنِيُّ المجتني وهو الثمر أو العسل، وأكثر ما يقال ذلك في الثمر إذا كان غضا " [2]، وفي البيضاوي: " وجني الجنتين دان قريب يناله القاعد والمضطجع، وجني اسم بمعني مجني وقُرئ بكسر الجيم " [3]، وفي التحرير والتنوير: " جني الجنتين ما يجني من ثمارها، وهو بفتح الجيم ما يقطف من الثمر، والمعني أن ثمر الجنة دان منهم وهم علي فرشهم، فمتي شاءوا اقتطفوا منه " [4]، وبذلك تكون (جني) في الآية مصدراً بمعني اسم المفعول ولم ترد مادة هذا المصدر إلا في موضعين في القرآن الكريم، هذا أحدهما، والثاني في سورة مريم، في قوله تعالى: " وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا " (مريم ٢٥)، وفي كليهما الصيغة بمعني اسم المفعول، والمصدرية أنسب لآية الرحمن، لتحتمل الكلمة المصدرية والمفعولية معا، وقد أخبر رب العزة سبحانه عن كلمة (جني) في الآية بكلمة (دان) أي قريب، ليكون الجني قريبا قبل جنيه وبعد جنيه، فهو قريب في أغصانه فمتي شاءوا اقتطفوا كما يقول صاحب التحرير، وهو قريب أيضا بعد جنيه يأكلون منه وهم متكئون علي فرشهم دون عناء، وللدلالة علي أن الحدث غير بعيد عنهم فهو في استطاعتهم متى شاءوا ذلك، وهذا معني المصدرية، وقد جاءت اللفظة في مريم بصيغة (فعيل) وهي من أمثلة المبالغة، للمبالغة في سقوط الجني المنبني علي هز مريم للجذع، وفي كلتا الصيغتين احتمال للمفعولية بمعني المجني وهو المعني الأقرب إلي الأذهان، إلا أن المفعولية في آية مريم

---

(1) البحر المحيط ١٨٥/٨ .

(2) عمدة الحفاظ [ج . ن . ي] ٥٦٧/١ .

(3) تفسير البيضاوي ٤٥٥/٢ .

(4) التحرير والتنوير ٢٦٩/٢٧ .

أوضح وأبين، لأنها حديث عن الرطب المنبني علي الهز، وما تساقط بعد الهز فهو مجني فعلا .

قال تعالي: " قل هو الله أحد * الله الصمد " (الإخلاص ١ & ٢)

في البحر: " الصمد فعل بمعنى مفعول، من صمد إليه إذا قصده، وهو السيد المصمود إليه في الحوائج ويستقل به." [١]، وفي القرطبي: " الله الصمد أي الذي يصمد إليه في الحاجات، كذا روي الضحاك عن ابن عباس، قال الذي يصمد إليه في الحاجات ... قال أهل اللغة: الصمد السيد الذي يصمد إليه في النوازل والحوائج .... وقال قوم الصمد: الدائم الباقي"[٢]، وفي البيضاوي: " الله الصمد السيد المصمود إليه في الحوائج من صمد إليه إذا قصد، وهو الموصوف به علي الإطلاق، فإنه يستغني عن غيره مطلقا، وكل ما عداه محتاج إليه في جميع جهاته " [٣] ، وفي عمدة الحفاظ: " هو السند الذي يصمد إليه في الأمور أي يقصد ... وقيل الصمد الدائم الباقي ... وقيل الصمد المرتفع الرتبة ومنه بناء مُصَمَّد أي مرتفع عال، والصَّمْد بسكون العين ما شَرف من الأرض وعلا" [٤]، وفي التحرير والتنوير: " الصمد السيد الذي لا يستغني عنه في المهمات وهو سيد القوم المطاع فيهم، قال في الكشاف، وهو فعل بمعني مفعول من صمد إليه إذا قصده، فالصمد المصمود إليه في الحوائج " [٥]، وكلمة الصمد من ألفاظ المشترك اللفظي فهو من صفاته تعالي وتقدس لأنه أصمدت إليه الأمور فلم يقض فيها غيره، وقيل الصمد الذي لا يَطْعَم، وقيل الصمد الدائم بعد بناء خلقه، وقيل هو الذي يصمد إليه الأمر فلا يقضي دونه، وقيل الذي صمد إليه كل شيء أي الذي خلق الأشياء كلها لا يستغني عنه شيء وكلها دال علي وحدانيته [٦]، ولما كانت (الصمد) تحتمل كل هذه المعاني التى تدل علي وحدانيته سبحانه وتعالي كانت صيغتها أنسب لهذا السياق، لأنها سبقت بقوله تعالي

---

(١) البحر المحيط ٥٢٧/٨ .

(٢) تفسير القرطبي ٢٤٥/٢٠ .

(٣) تفسير البيضاوي ٦٣١/٢ .

(٤) عمدة الحفاظ [ص . م . د] ١٤٦٨/٢ .

(٥) التحرير والتنوير ٣٠ /٦١٧ .

(٦) انظر: لسان العرب ٤٠٤/٧ .

(قل هو الله أحد) وتلاها قوله تعالي (لم يلد ولم يولد) (الإخلاص ٣)، فالسياق سياق وحدانية، وبين هذه الآيات وكل الآيات التي تدل علي وحدانية الله في القرآن الكريم علاقات تفصيلية وتفسيرية وتناص، فالقرآن سياق مقالي واحد متماسك يفسر بعضه بعضا، وقد قال المفسرون ذلك منذ مئات السنين، وهو ما عناه (أولمان) بقوله: " إن السياق علي هذا التفسير ينبغي أن يشمل لا الكلمات والجمل الحقيقية السابقة واللاحقة فحسب بل والقطعة كلها والكتاب كله " [(١)]، (سياق النص)، هذا بالإضافة إلي اتساق كلمة الصمد من ناحية اللفظ مع باقي فواصل السورة الكريمة، هذا ولم يأت أي اسم من أسماء الله الحسني بلفظ اسم المفعول، والصمد أحد هذه الأسماء المقدسة، هذا عن سياق المقال أو النص أما عن سياق المقام فكل الآيات الكونية التي تدل علي وحدانية الله تمثل سياقا مقاميا لهذه الآيات الكريمات .

قال تعالي: " قل أعوذ برب الفلق " (الفلق ١) .

يقول أبو حيان: " الفلق فَعَل بمعني مفعول" [(٢)] وقيل الفلق كل ما يفلقه الله تعالي كالأرض والنبات، والجبال عن العيون، والسحاب عن المطر، والأرحام عن الأولاد والحب والنوى وغير ذلك وقيل الفلق حب في جهنم أو واد في جهنم أو بيت في جهنم إذا فتح صاح جميع أهل النار من شدة حره [(٣)]، " والفلق بفتحتين الصبح بعينه، يقال فلق الصبح فالقه، وقوله تعالي (قل أعوذ برب الفلق) قيل هو الصبح، وقيل هو الخلق كله " [(٤)] وفي عمدة الحفاظ: " الفلق الصبح ... وقيل الفلق الأنهار لأنها مفلوقة في الأرض " [(٥)]، وفي البيضاوي: " (قل أعوذ برب الفلق) ما يفلق عنه أي يفرق كالفرق فَعَل بمعني مفعول " [(٦)]، وفي التحرير والتنوير: " والفلق الصبح وهو فَعَل بمعني مفعول مثل الصمد، لأن الليل شبه بشيء مغلق ينفلق عن الصبح، وحقيقة الفلق الانشقاق عن باطن الشيء، واستعير لظهور

---

(١) دور الكلمة في اللغة (ستيفن أولمان) ترجمة الدكتور كمال بشر مكتبة الشباب الطبعة العاشرة ١٩٨٦م، ٦٢ .

(٢) البحر المحيط ٥٢٩/٨ .

(٣) انظر: البحر المحيط ٥٣٠/٨ .

(٤) مختار الصحاح [ف . ل . ق] ٢٣٨ .

(٥) عمدة الحفاظ [ف . ل . ق] ٢٠٣٣/٣ .

(٦) تفسير البيضاوي ٦٣٢/٢ .

الصبح بعد ظلمة الليل " [1]، وقد سرد القرطبي معاني عدة للفلق منها أنه سجن في جهنم أو واد أو بيت فيها وقيل شجرة في النار، ويقال لما اطمأن في الأرض فلق، وقال جمهور منهم سعيد بن جبير ومجاهد وقتادة: الفلق الصبح، وقيل هو الجبال والصخور تنفلق بالمياه أي تتشقق وقيل هو التفليق بين الجبال والصخور تنفلق بالمياه أن تتشقق وقيل هو التفليق بين الجبال والصخور، لأنها تتشقق من خوف الله عز وجل [2]، فالفلق في الآية (فَعَل بمعنى مفعول) لتوجيه الاهتمام إلى الحدث وإلى الشيء المفلوق معا لا إلى المفلوق فقط دون مراعاة حدث الفلق نفسه وقدرة الله في ذلك، وسياق الآية المقالي سياق استعاذة بالله من شرور الخلق، ومن شر نوائب الليل إذا غطى ظلامه، ومن النساء السواحر، ومن الحاسدين، وكأن الله يخبرنا أنه إذا أصابنا شيء من هذه الشرور فلنستعذ بالله الأكبر رب الفلق، فإذا كانت السواحر تنفث في العقد بعد توكيدها فالله وحده قادر على تفليق هذه العقد، ولا مقارنة بين قدرة الله وفعل هؤلاء السحرة والحاسدين، وإذا خفنا من شر غاسق الليل إذا وقب فإن الله هو " فالق الإصباح " (الأنعام ٩٦) وقد نزلت الآية في النبي صلى الله عليه وسلم – الذي مرض مرضاً شديداً فأتاه ملكان، وقعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه، فقال أحدهما للآخر، سحر، وذكر الساحر، ومكان السحر في بئر آل فلان تحت الصخرة، فلما أصبح النبي بعث عمار بن ياسر في نفر فأتوا البئر ذا الصخرة، وقد كان ماؤها مثل ماء الحناء فنزحوا الماء ثم رفعوا الصخرة فإذا بشيء فيه وتر فيه إحدى عشرة عقدة، فنزلت السورتان (الفلق والناس) كلما قرأ آية انحلت عقدة [3]، فالمقام مقام سحر وإحكام عُقَد وقد ناسبه الإتيان بلفظ المصدر (الفَلَق) بمعنى التفليق والشق والإبطال مع احتماله للمفعولية لتكون العظة في قدرة الله التامة المنبثقة عنها هذه المفلوقات الدالة على قدرته أيضاً .

قال تعالى: " إن هذا لهو القصص الحق " (آل عمران ٦٢)

يقول أبو حيان: " القصص مصدر أو فعل بمعنى مفعول أي المقصوص " [4] وفي القرطبي: " سميت قصصا لأن المعاني تتابع فيها، فهو من قولهم: فلان يقص أثر فلان

(١) التحرير والتنوير ٦٢٦/٣٠ .

(٢) انظر: تفسير القرطبي ٢٥٤/٢٠ .

(٣) انظر: أسباب النزول للسيوطي ٤٧٩ .

(٤) البحر المحيط ٤٨٢/٢ .

أي يتبعه " [١]، وفي البيضاوي: " أي مما قص من نبأ عيسي ومريم " [٢]، وفي عمدة الحفاظ: " (القصص) البيان من قولهم قص فلان الخبر أي أتي بقصته من قصها وأصله من قص الأثر أي تتبعه حتى عرف صاحبه أين سلك والقصص الأثر نفسه " [٣] وفي التحرير والتنوير: " القصص بفتح القاف والصاد – اسم لما يقص . يقال قص الخبر قصا إذا أخبر به، والقص أخص من الإخبار، فإن القص إخبار بخبر فيه طول وتفصيل ... فالقصص اسم لما يقص ... وقيل هو اسم مصدر وليس مصدرا .... فالقص بالإدغام مصدر، والقصص بالفك اسم للمصدر، واسم للخبر المقصوص " [٤]، واحتمال الصيغة للمصدرية أو المفعولية وأن تكون اسما للمصدر معجز في الآية، حيث وُصِفت كلمة القصص بالحق ليكون حدث القص حقا، والمقصوص عنهم حق، وليعتبر الإنسان بالقص ذاته لم يُقص في المكان بعينه أو في المقصوص عنهم وما فيهم من العبر والعظات ودلائل القدرة، وتوكيد الجملة بـ (إنّ) واللام المزحلقة توكيد لكل هذه الدلالات وكذا التوكيد بضمير الفصل لتأكيد أن القص والمقصوص عنهم حق، وأن هذا هو القصص بعينه، وقد اشتملت السورة علي كثير من هذا القصص الحق وبخاصة ما قص من نبأ عيسي ومريم، وقد اشتمل السياق علي المجادلة في أمر عيسي بغير الحق فذكر سبحانه أن هذا هو القصص الحق ولا جدال في ذلك أي أن الأحداث التي تعرض لها عيسي من التوفي والرفع إلي الله والتطهير وأنه كمثل آدم مخلوقٌ من تراب كل ذلك حق فلا تجادلوا فيه، ودلالة الكلمة علي المصدرية والمفعولية أنسب لهذه السياقات ليعتبر الناس بالأحداث وبالمقصوص عنهم أصحاب هذه الأحداث .

قال تعالي: " وبئس الورد المورود " (هود ٩٨)

في البحر: " الورد قال ابن السكيت هو ورود القوم الماء، والورود الإبل الواردة، فيكون مصدرا بمعني الورود واسم مفعول في المعني " [٥]، وفي المفردات للراغب الأصفهاني " الورد الماء المرشح للورود ... والورد يوم الحمي إذا وردت واستعمل في

---

[١] تفسير القرطبي ١٠٥/٤ .

[٢] تفسير البيضاوي ١٦٣/١ .

[٣] عمدة الحفاظ [ق . ص . ص] ٢١٣١/٣ .

[٤] التحرير والتنوير ٢٦٧/٣ .

[٥] البحر المحيط ٢٥١/٥ .

النار علي سبيل الفظاعة ... ويعبر عن إتيان الحمي بالورد " [1] وفي عمدة الحفاظ: " الورد هو الماء الذي يورد ويكون للإبل الواردة، ويكون لحمي تجيء كل وقت، والجزء من القرآن يجعله القارئ له ولعبادة موظفة له ... (والورد) القوم يردون الماء فسمي العطاش وردا لطلبهم ورود الماء، كقولهم قوم صَوْمٌ " [2] وفي القرطبي: " وبئس الورد المورود أي بئس المدخل المدخول، ولم يقل بئست لأن الكلام يرجع إلي المورود، وهو كما تقول نعم المنزل دارك ونعمت المنزل دارك، والمورود الماء الذي يورد، والموضع الذي يورد وهو بمعني المفعول " [3]، وفي البيضاوي: " أي بئس المورود الذي وردوه فإنه يراد لتبريد الأكباد وتسكين العطاش والنار بالضد " [4]، وفي التحرير والتنوير: " والورد بكسر الواو أصله السير إلي الماء، وتسمي الأنعام الواردة وردا تسمية علي حذف المضاف، أي ذات ورد، كما يسمي الماء الذي يرده القوم وردا " [5]، وفي القاموس المحيط: " (الورد) من أسماء الحمى، أو هو يومها والإشراف علي الماء وغيره دخله أو لم يدخله ... والجزء من القرآن، والقطيع من الطير، والجيش، والنصيب من الماء، والقوم يردون الماء " [6]، والورد أيضاً هو الجماعة العطاش [7]، يقول ربنا: " ونسوق المجرمين إلي جهنم وردا" (مريم ٨٦)، ولكن لو كانت (الورد) اسم مفعول في المعني بمعني المورود لما وصفت بكلمة المورود، والمعني المقصود هو الماء المرشح للورود أو يوم الحمي وإتيانه، والقوم يردون الماء، ولا يصح أن يكون الورد هنا بمعني الجزء من القرآن لأن السياق سياق ذم، والمعني بئس الوارد وبئس الورود وبئس المورود، لأن الحديث في الآيات عن فرعون يقدم قومه الذين اتبعوه وخالفوا موسي وآياته فأوردهم الله النار، فبئس الواردون (فرعون وقومه) وبئس الورود الذي يساقون فيه سوقا لأنهم مجرمون كما جاء في آية مريم، وبئس المورود وهو النار.

---

(1) المفردات في غريب القرآن ٥٢٠ – ٥٢١ .

(2) عمدة الحفاظ ٢٨٣٣/٤ .

(3) تفسير القرطبي ٩٣/٩ .

(4) تفسير البيضاوي ١/ ٤٦٩ .

(5) التحرير والتنوير ١٦٨/١٦ .

(6) القاموس المحيط ٤٦٩/١ .

(7) انظر الاشتراك والتضاد في القرآن الكريم، للدكتور أحمد مختار عمر ٤٦٩/١ .

قال تعالي: " قال قد أوتيت سؤلك يا موسي " (طه ٣٦)

يقول أبو حيان: " السؤل فعل بمعنى المسئول ... والمعنى أعطيت طلبتك وما سألته من شرح الصدر، وتيسير الأمر، وحل العقدة، وجعل أخيك وزيراً " [١]، وفي القرطبي: " والسؤل الطّلبة، فُعل بمعني مفعول كقولك خبز بمعني مخبوز، وأكل بمعني مأكول " [٢]، وفي البيضاوي: (قال قد أوتيت سؤلك يا موسي) أي مسئولك، فعل بمعني مفعول كالخبز والأكل بمعني المخبوز والمأكول " [٣]، وفي التحرير والتنوير: " السؤل بمعني المسئول، وهو وزن فعل بمعني مفعول كالخبز بمعني المخبوز والأكل بمعني المأكول، وهذا يدل علي أن العقدة زالت علي لسانه، ولذلك لم يحك فيما بعد أنه أقام هارون بمجادلة فرعون " [٤]، فالسؤل في الآية ما يسأله الإنسان أو ما يطلبه، وبمعني اسم المفعول أي المسئول، وقيل سؤلك، ولم يقل طلبك لأن السؤال لا يكون إلا كلاما، ويكون الطلب بالسعي وغيره [٥]، وسؤال موسي كان كلاما.

قال تعالي: " لهم شراب من حميم " (الأنعام ٧٠)

في البحر المحيط: " شراب فَعال بمعني مفعول كطعام بمعني مطعوم " [٦]، وفي المفردات الشراب فيه معني التناول [٧]، وفي عمدة الحفاظ: " والشراب ما يشرب " [٨]، وفي التحرير والتنوير: " وخص الشراب من الحميم من بقية أنواع العذاب المذكور من بعد للإشارة إلي أنهم يعطشون فلا يشربون إلا ماء يزيدهم حرارة علي حرارة العطش" [٩]، وفي البيضاوي: " والمعني هم بين ماء مغلي يتجرجر في بطونهم ونار تشتعل بأبدانهم بسبب كفرهم " [١٠]، أي

---

(١) البحر المحيط ٦/٢٤٠ .

(٢) تفسير القرطبي ١١/١٩٥ .

(٣) تفسير البيضاوي ٢/٤٦ .

(٤) التحرير والتنوير ١٦/٢١٤ .

(٥) انظر: الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ٣٠٨ .

(٦) البحر المحيط ٤/١٥٦ .

(٧) انظر: المفردات في غريب القرآن ٢٥٧ .

(٨) انظر: عمدة الحفاظ [ش . ر . ب] ٢/١٣١٤ .

(٩) التحرير والتنوير ٧/٢٩٩ .

(١٠) تفسير البيضاوي ١/٣٠٧ .

أن أهل النار يذوقون العذاب في تناولهم الحميم المشروب قبل شربه لما فيه من الحرارة الشديدة [1]، وشراب لذلك أنسب من مشروب لسياق الآية فلو قيل (لهم مشروب) لكان العذاب في المشروب فقط وإن لم يشربوا لم يُعذبوا، وإنما العذاب بشيئين بالشرب ذاته وشدة الحرارة المنبعثة من المشروب قبل شربه، وبالمشروب نفسه عندما يشربونه، وقوله تعالي لهم شراب دلالة علي أن هذا الشراب قد أعد لهم، وهو خاص بهم لا بغيرهم، وقوله تعالي من حميم دلالة علي شدة العذاب وأن هذا الماء لا يزيدهم إلا عطشا علي عطشهم، وحرارة علي حرارتهم، والإتيان بلفظ المصدر في الآية للمبالغة في شدة العذاب وليكون العذاب حاصلا في حدث الشرب ذاته وفي المشروب ونوعه .

قال تعالي: " إلا من اغترف غرفة بيده " (البقرة ٢٤٩)

في البحر المحيط: " هما بمعني المصدر (أي غُرفة بالفتح والضم) وقيل هما بمعني المغروف، وقيل الغَرفة بالفتح المرة، وبالضم ما تحمله اليد " [2]، والغرفة واحدة الغرفات وهي منازل الجنة [3]، قال تعالي: " أولئك يجزون الغرفة بما صبروا " (الفرقان ٧٥)، وقال تعالي: " وهم في الغرفات آمنون " (سبأ ٣٧) وفي القرطبي: " الاغتراف الأخذ من الشيء باليد أو بآلة، ومنه الغرفة والغِرف مثل الاغتراف، وقرئ غَرفة بفتح الغين وهي مصدر، ولم يقل اغترافة لأن معني الغرف والاغتراف واحد، والغرفة المرة الواحدة، وقرئ غُرفة بضم الغين وهي الشيء المغترف " [4]، وفي عمدة الحفاظ: " قرئ بفتح الفاء علي أنها المرة، وبالضم علي أنها اسم لما يغترف كالمضغة والمضغة " [5]، وفي التحرير والتنوير: " والغَرفة بفتح الغين في قراءة نافع وابن كثير وابن عامر وأبي جعفر المرة من الغرف وهو أخذ الماء باليد، وقرأ حمزة وعاصم والكسائي ويعقوب وخلف بضم الغين، وهو مقدار المغروف من الماء ... والغرف لا يكون إلا باليد، [6]

(١) انظر: فقه اللغة وسر العربية للثعالبي ١٩٠ .

(٢) البحر المحيط ٢/٢٦٥ .

(٣) انظر المفردات في غريب القرآن ٣٦٠ .

(٤) تفسير القرطبي ٣/٢٥٣ .

(٥) عمدة الحفاظ [غ . ر . ف] ٣/١٨٧٨ .

(٦) التحرير والتنوير ٢/٤٩٨ .

والمعني الرخصة في القليل دون الكثير " [1]، فكلمة غرفة تحتمل المصدرية بمعني الاغتراف، وتحتمل اسم المفعول بمعني المغروف، وتحتمل الاسمية بمعني منازل الجنة، والمعاني الثلاثة أولي بإنعام النظر، ففي السياق المقالي للآيات بَيَّنَ طالوت لأصحابه أن الله مبتليهم بنهر فمن شرب منه فليس منه ومن لم يطعمه فإنه منه إلا من اغترف غرفة بيده، أي إلا من اغترف اغترافا بيده، أو إلا من اغترف من هذا المغروف، ومن يطع المصطفين الأخيار فهذه طريقه إلي غرفات الجنة، وكأن من يطع هؤلاء يدخل الجنة وغرفاتها بيديه، أي بسعيه وعمله الذي هو مخير فيه من بعد مشيئة الله تعالي .

قال تعالي: " فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا " (الأعراف ١٤٣)

في البحر: "الدك مصدر دككت الشيء، فتته وسحقته، مصدر في معني المفعول"[2]، والدك الأرض اللينة السهلة [3]، وفي البيضاوي: " جعله دكا مدكوكا مفتتا والدك والدق أخوان كالشك والشق، وقرأ حمزة والكسائي دكاء أي أرضا مستوية ومنه ناقة دكاء التي لا سنام لها"[4] وفي التحرير والتنوير: " قرأ الجمهور دكا – بالتنوين – والدك مصدر وهو والدق مترادفان، وهو الهد وتفرق الأجزاء كقوله وتخر الجبال هدا (مريم ٩٠) وقد أخبر عن الجبل بأنه جعله دكا للمبالغة والمراد أنه مدكوك، أي مدقوق مهدوم " [5]، فكلمة (دكا) في الآية تحتمل المعاني الثلاثة الحدث واسم المفعول والاسمية، وجاء اللفظ في الآية بصيغة المصدرية للتركيز علي الحدث لا علي الشيء الواقع عليه الحدث، ويتبين ذلك من قول ربنا: (وخر موسي صعقا)، فلو لم يكن موسي قد رأي حدثا عظيما لما خر من أجله ولما صُعق، فالتركيز علي حدث الدك أهم من التركيز علي الشيء المدكوك، والدك بمعني المدكوك وبمعني الأرض اللينة السهلة الناتئة معنيان فرعيان علي المعني الأصلي في الآية وهو المصدرية أو الحدث، فعندما يتجلي الله بنوره علي الأشياء فهذا حدث عظيم يستدعي الانتباه، فناسبت المصدرية في كلمة (دكا) المعني المقصود في الآية .

---

(١) تفسير البيضاوي ١٣١/١ .

(٢) البحر المحيط ٣٨٤/٤ .

(٣) انظر المفردات في غريب القرآن ١٧١، والقاموس المحيط ١٢٤٤/٢ .

(٤) تفسير البيضاوي ٣٥٩/١ وانظر: تفسير القرطبي ٢٧٨/٧، وعمدة الحفاظ [د . ك . ك] ٨٩٧/٢ .

(٥) التحرير والتنوير ٩٣/٩ .

المصدر الدال على الفاعلية أو المفعولية [1]:

قال تعالى: " الذين يؤمنون بالغيب " (البقرة ٣)

في العكبري: " الغيب هنا مصدر بمعنى الفاعل، أي يؤمنون بالغائب عنهم، ويجوز أن يكون بمعنى المفعول أي المغيب " [2]، وفي البحر: " الغيب مصدر غاب إذا توارى وسمي المطمئن من الأرض غيباً لذلك، أو فعيل من غاب " [3]، وفي عمدة الحفاظ: " الغيب مصدر غاب يغيب ضد حضر ... وقيل الغيب مصدر واقع موقع اسم الفاعل، أي يؤمنون بالغائب ... وقيل الغيب القرآن " [4]، وفي القرطبي: " واختلف المفسرون في تأويل الغيب هنا . فقالت فرقة الغيب في هذه الآية: الله سبحانه، وضعفه ابن العربي، وقال آخرون القضاء والقدر، وقال آخرون القرآن، وما فيه من الغيوب، وقال آخرون: الغيب كل ما أخبر به الرسول عليه السلام مما لا تهتدي إليه العقول " [5]، وفي البيضاوي: " الغيب مصدر، وصف به للمبالغة ... والمراد به الخفي الذي لا يدركه الحس، ولا تقتضيه بديهة العقل ... وقيل المراد بالغيب القلب لأنه مستور " [6]، فمعنى يؤمنون بالغيب أي يؤمنون بالأخبار التي جاءتنا عن الأشياء الغائبة عنا التي غيبها الله سبحانه من جنة ونار وقيامة، فهي غائبة مغيبة أي متصفة بالغيب، وواقع عليها من قبل المولى سبحانه، فالسياق حديث عن المتقين المؤمنين وصفاتهم، وأن أول صفة يجب أن يتحلى بها المتقي هي الإيمان بالغيب بجميع معانيه ومن حيث هو غائب مغيب، و (أل) في الغيب للجنس أي يؤمنون بكل ما يغيب عنهم، وجاءت الكلمة بلفظ المصدرية للاختبار في حدث التغييب نفسه، وفي أنه من قدرة الله عز وجل وفي الأشياء الغائبة عنا، أي أن الذي يؤمن بالغيب يؤمن بقدرة الله في التغييب وبالاختبار في ذلك، وبالأشياء الغائبة التي وقع عليها التغييب، فكما أنه لابد من موجد لكل شيء موجود، كذلك لابد من مغيب لكل

---

(١) انظر دراسات لأسلوب القرآن الكريم ٦/١٧٥ .

(٢) إملاء ما من به الرحمن ١/١٢ .

(٣) البحر المحيط ١/٣٨، وانظر القاموس المحيط ١/٢٠٩، وتفسير القرطبي ١/١٦٣ .

(٤) عمدة الحفاظ [غ . ي . ب] ٣/١٩٢٥ .

(٥) تفسير القرطبي ١/١٦٣ .

(٦) تفسير البيضاوي ١/ ١٨ .

شيء غائب عنا وإذا غاب الشيء بهذا المعني فهو فاعل ومفعول، وهذا من باب احتمال الكلمة للضدين، وهو من إعجاز القرآن العظيم .

قال تعالي: " يسألونك عن الخمر والميسر " (البقرة ٢١٩)

في البحر: " الخمر هي المعتصر من العنب إذا غلي واشتد وقذف بالزبد سمي بذلك من خَمِر إذا سُتِر ... وقال ابن الأنباري سميت بذلك لأنها تخامر العقل أي تخالطه .... وقيل سميت بذلك لأنها تترك حين تدرك، يقال اختمر العجين بلغ إدراكه، وخمر الرأي تركه حتى يبين فيه الوجه، فعلي هذه الاشتقاقات تكون مصدرا في الأصل وأريد بها اسم الفاعل أو اسم المفعول " [١]، " وقال ابن الأعرابي: سميت الخمر خمرا لأنها تركت فاختمرت واختمارها تغير ريحها، وقيل سميت بذلك لمخامرتها العقل " [٢]، وفي عمدة الحفاظ: " الخمر ما خامر العقل أي خالطه ... وسميت الخمرة بذلك لكونها مخمورة من قبل " [٣]، وفي البيضاوي: " الخمر في الأصل مصدر خمره إذا ستره سمي بها عصير العنب والتمر إذا اشتد وغلي كأنه يخمر العقل " [٤]، وفي التحرير والتنوير: " والخمر اسم مشتق من مصدر خمر الشيء يخمره من باب نصر إذا ستره ... وهي إما تسمية بالمصدر أو هو اسم جاء علي زنة المصدر وقيل هو اسم لكل مشروب مسكر ... ترك حتى يختمر"[٥]، فالخمر في الآية اسم للمعتصر من العنب وهي مصدر أريد به اسم الفاعل أو اسم المفعول، وأري أن تحقق المعاني الأربعة في الكلمة له مقاصده في الآية، فالمقصد في الاسمية أن يؤمن المسلم بأن الخمر حرام دون معرفة ماهيتها لأننا مأمورون بذلك، ودلالة المصدرية هي تبيين الضرر الواقع علي البشرية من الحدث أو من تصنيع هذه الخمور، فالصناعة كما هو معلوم أهم من المصنوع ولذا جاءت الكلمة في الآية بلفظ المصدرية أو الاسمية، وفي دلالة المصدر علي الفاعلية والمفعولية تبيين الضرر المنبني

---

(١) البحر المحيط ١٥٤/٢، وانظر القاموس المحيط ٥٤٧/١ .

(٢) مختار الصحاح ١٠٣ .

(٣) عمدة الحفاظ [خ . م . ر] ٨٥٢/٢، ٨٥٣ .

(٤) تفسير البيضاوي ١١٨/١ .

(٥) التحرير والتنوير ٣٤١/٢ .

علي الخمر من ماهيتها فهي تختمر فتفسد في ذاتها بفعل البشر (المفعولية) فتخامر العقل فتفسده (الفاعلية)، وهذا من سياق المقام .

قال تعالي: " وأنزل الفرقان " (آل عمران ٤)

يقول أبو حيان: " والفرقان مصدر في الأصل ... أريد به اسم الفاعل أي الفارق ويجوز أن يراد به المفعول، قال تعالي: وقرآنا فرقناه لتقرأه علي الناس علي مكث (الإسراء ١٠٦) [١] ويقول الفيروزآبادي: " الفرقان بالضم القرآن كالفرق بالضم، وهو كل ما فرق به بين الحق والباطل " [٢]، فكل ما فرق به بين الحق والباطل فارق ومفروق به، وفي القرطبي: " وأصل الفرق الفصل ومنه فرق الشعر ومنه الفرقان لأنه يفرق بين الحق والباطل، ومنه يوم الفرقان يعني يوم بدر كان فيه فرق بين الحق والباطل " [٣] وفي الطبري: " الفرقان يعني الفصل بين الحق والباطل " [٤]، وفي التحرير والتنوير: " والفرقان مصدر فرق، وقد شاع في الفرق بين الحق والباطل، أي إعلان التفرقة بين الحق الذي جاءهم من الله وبين الباطل الذي كانوا عليه قبل الإسلام " [٥]، وقول ربنا (وقرآنا فرقناه) أي فصلناه وأحكمناه، " والفارقات فرقا " (المرسلات ٤) الملائكة تنزل بالفرق بين الحق والباطل [٦]، فالفرقان بهذه التفاسير تحتمل المصدرية – واللفظ لها – واسم الفاعل واسم المفعول، والاسمية، ومعني المصدرية أن الله أنزل التفريق بين الحق والباطل بكتب سماوية فارقة فرقها الله سبحانه فانفرقت ووقع بها التفريق، فالفرقان جنس الكتب السماوية لأنها كلمة يفرق بها بين الحق والباطل، أو هو المعجزات المصاحبة لهذه الكتب أو ما اشتملت عليه من أحكام بينها الله ليفرق بها بين الحق والباطل [٧]، وقد جاء في سياق الآيات ذكر التوارة والإنجيل وأن الله قد أنزلهما من قبل هدي للناس . وفي كل ذلك آيات لأولي الألباب، و (أل) في (الفرقان) للجنس أي أنزل الله

---

(١) البحر المحيط ٣٧٩/٢ .

(٢) القاموس المحيط ١٢١٦/٢ .

(٣) تفسير القرطبي ٣٨٣/١ وانظر عمدة الحفاظ [ف . ر . ق] ١٩٨٥/٣ .

(٤) تفسير الطبري ٨٥/٢ .

(٥) التحرير والتنوير ١٧٣/٢ .

(٦) انظر القاموس المحيط ١٢١٥/٢ .

(٧) انظر البحر المحيط ٣٧٩/٢ .

كل الكتب السماوية وكل المعجزات المصاحبة لها، وكل ما اشتملت عليه من أحكام، وكل هذه الأشياء تعين في التفريق بين الحق والباطل .

قال تعالي: "يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور"(يونس ٥٧)

في العكبري: " قوله تعالي (وشفاء) هو مصدر في معني الفاعل أي وشافٍ، وقيل هو في معني المفعول أي المشفي به " [١]، وفي الطبري " وشفاء لما في الصدور ودواء لما في الصدور من الجهل يشفي به الله الجهال فيبرئ به داءهم ويهدي به من خلقه من أراد هدايته " [٢]، وفي القرطبي: " أي وعظ من ربكم يعني القرآن فيه مواعظ وحكم وشفاء لما في الصدور أي من الشك والنفاق والخلاف والشقاق " [٣]، وفي التحرير والتنوير: " الشفاء زوال المرض والألم، ومجازه زوال النقائص والضلالات وما فيه من حرج علي النفس وهذا هو المراد هنا " [٤]، فالقرآن الكريم هو الشفاء الشافي المشفي به، وجاءت كلمة (شفاء) في الآية بلفظ المصدرية لتوكيد الحدث ولتبيين أن القرآن مصدر الشفاء، فلو قيل (وشافٍ لما في الصدور) يحتمل ألا يحدث الشفاء، فالطبيب معالج بإذن الله إلا أنه قد يجتهد ولا يحدث شفاء، كذا لو قيل (ومشفي به) فشفاء معناه أن القرآن مصدر الشفاء لما في الصدور، ولا جدال في ذلك، والإتيان بلفظ المصدر مناسب لحدث التداوي الذي يكون بقراءة القرآن أو تلاوته علي موضع المرض ليبرأ الإنسان منه، وليس بتعليق القرآن أو المصحف المكتوب علي الصدر أو وضعه في أماكن بعينها، فالشفاء نابع من الحكم والمواعظ التي فيه لا من كونه أوراقا وكتابات وهو مجازي المقصود منه الشفاء من النواقص والضلالات قبل الآلام والأمراض، والله أعلي وأعلم .

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ٢/٣٠ .

(٢) تفسير الطبري ١١/٨٦ .

(٣) تفسير القرطبي ٨/٣٥٣ .

(٤) التحرير والتنوير ١١/٢٠١ .

خاتمة:

هذا البحث محاولة لفهم دلالة المصدر علي الفاعلية أو المفعولية في القرآن الكريم، أقف فيه علي المصادر التي تعددت دلالاتها بين الفاعلية والمفعولية ذاكراً آراء العلماء في ذلك موضحا أثر السياق بنوعيه المقالي والمقامي في دلالة هذه المصادر، معتمدا علي المنهج الوصفي التحليلي الذي يعمد أصحابه إلي الجملة فيفهمون معناها بوصف سياقاتها الموجودة فعلا، ولا شك أن آيات القرآن العظيم لا يعتريها شيء من الخلل، ومفرداته كذلك نظمت نظما دقيقا داخل الآية الواحدة، وكل لفظة بل كل حرف قد وضع في موضعه بإحكام بالغ وعلي المتصدي لفهم آيات القرآن وتفسيرها عليه فهم الصيغ والمفردات بمعانيها المعجمية والوظيفية ومن ثم الدلالية للوصول إلي المعاني الكبري والمقاصد الجليلة لهذه الآيات ومن ثم للسور القرآنية، وعليه أيضاً ألا يعزل هذه المفردات عن سياقاتها المقالية والمقامية، قانعا بأن القرآن وحدة مقالية متماسكة؛ وأن كل صيغة أو لفظة وضعت ومعناها الأصلي بإحكام بالغ في موقعها وقد تحتمل معني آخر بجوار معناها الأصلي وهو من إعجاز وبلاغة القرآن العظيم، وقد خلصت في ختام هذا البحث إلي الآتي:

- السياق لا يوجب دلالة واحدة فقط للمصدر في كل الأحوال، فقد يكون لهذا المصدر أكثر من معني علي حد سواء، وقد يكون له أكثر من معني أو دلالة مع ترجيح إحدي الدلالات علي غيرها .
- قد يكون المصدر بمعني الفاعل وقد يكون بمعني المفعول، وقد يكون بمعناهما معا وهذا معجز .
- السياق لا يكون سببا في الغموض، إلا أنه قد يكون غامضا بغموض بعض قرائنه أو بمخالفة الأعراف التركيبية، وهيئات الجمل المكونة لهذا السياق، فقرائن السياق ثابتة مستقرة وتطبيقاته متغيرة زائلة .
- ثمة فرق بين تعدد الدلالة وغموض الدلالة. فتعدد الدلالة أو تعدد المعني للمبني عنصر إيجاب تفيد منه اللغة لتعدد المقاصد؛ وغموض الدلالة عنصر سلب يحسب علي السياق وينبغي أن يُتخلص منه بالبحث عن مسببات هذا الغموض .

- كثير من علمائنا العرب مولعون بالفكر الحداثي الغربي الأمر الذي يجعلهم ينساقون وراء أحكام لغوية قد لا تنسحب علي لغتنا وفقهها العظيم .
- طبق كثير من علمائنا العرب وأخص المفسرين منهم – نظرية السياق بشقيها المقالي والمقامي أيما تطبيق وإن لم يضعوا هيكلا تنظيريا لها، أي أن الغرب يبني علي أصولنا اللغوية ولا نبني نحن علي أصول أنفسنا .
- كلما كثرت الدراسات البحثية حول آي القرآن العظيم تبينت وجوه إعجازه، وتجلت أسرار عظمته، وفهم وتفسير الآيات ليس حكرا علي أحد ولا علي طائفة بعينها إذا اتبعت طرائق التفسير السليمة واجتنب الشطط . والله من وراء القصد.

ثبت المراجع:

١- أثر السياق في مبني التركيب ودلالته (دراسة نصية من القرآن)، فتحي ثابت علم الدين، رسالة دكتوراة بكلية الدراسات العربية والإسلامية بالمنيا ١٩٩٤م .

٢- أسباب النزول للسيوطي، بتحقيق حامد الطاهر، دار الفجر للتراث، الطبعة الأولى، القاهرة ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م .

٣- الاشتراك والتضاد في القرآن الكريم، للدكتور أحمد مختار عمر، عالم الكتب(القاهرة) الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م .

٤- إملاء ما من به الرحمن (التبيان في إعراب القرآن) للعكبري، المكتبة التوفيقية بالقاهرة.

٥- البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، دار إحياء التراث العربي (بيروت – لبنان) الطبعة الثانية ١٤١١هـ ١٩٩٠م .

٦- البرهان في علوم القرآن للزركشي، بتحقيق (محمد أبو الفضل إبراهيم)، الطبعة الحادية والعشرون (بيروت – دار المعرفة) ١٣٩١هـ .

٧- البنية اللغوية للمشترك اللفظي، بحث منشور في مجلة الباحث، كلية إعداد المعلمين بودّان – ليبيا) العدد الخامس والسادس ٢٠٠٦ – ٢٠٠٧ و ٢٠٠٧ – ٢٠٠٨ .

٨- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، والدار الجماهيرية للنشر والتوزيع .

٩- التسهيل لعلوم التنزيل لأبي القاسم الغرناطي (المتوفي ٧٤١هـ)، الدار العربية للكتاب.

١٠- التعبير القرآني . للدكتور فاضل السامرائي، دار عمان (الأردن) الطبعة الخامسة ٢٠٠٧م .

١١- تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلي مزايا الكتاب الكريم)، دار الفكر .

١٢- تفسير البيضاوي، دار الكتب العلمية (بيروت – لبنان) الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

١٣- التفسير الكبير لفخر الدين الرازي، المطبعة البهية بمصر .

١٤- جامع البيان في تفسير القرآن، محمد بن جرير الطبري، دار المعرفة (بيروت – لبنان) ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .

١٥- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار إحياء التراث (بيروت – لبنان) ١٩٨٥م .

١٦- دراسات لأسلوب القرآن الكريم، للدكتور عبد الخالق عضيمة، دار الحديث بالقاهرة.

١٧- دروس في الألسنية العامة، فردينان دي سوسير، تعريب صالح القرماوي، ومحمد الشاوش، ومحمد عجينة، الدار العربية للكتاب .

١٨- دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو ١٩٨٠م .

١٩- دلالة السياق وأثرها في الأساليب العربية، دردير محمد أبو السعود، مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط، العدد السابع ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .

٢٠- دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، ترجمة الدكتور كمال بشر، مكتبة الشباب، الطبعة العاشرة ١٩٨٦م .

٢١- روح المعاني، شهاب الدين السيد محمود الآلوسي، إدارة الطباعة المنيرية، دار إحياء التراث، ودار الفكر – بيروت، ١٤٠٣هـ و١٩٨٣م .

٢٢- سياق الحال في الدرس الدلالي للدكتور فريد عوض حيدر، مكتبة النهضة المصرية.

٢٣- شرح ابن عقيل علي ألفية ابن مالك، دار الطلائع – القاهرة ٢٠٠٤م .

٢٤- شرح المفصل، لابن يعيش، عالم الكتب (بيروت – لبنان)

٢٥- ظاهرة المشترك اللفظي ومشكلة غموض الدلالة، الدكتور أحمد نصيف الجنابي، بحث منشور بمجلة المجمع العلمي العراقي، الجزء الرابع، المجلد الخامس والثلاثون، تشرين الأول ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م .

٢٦- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم الحلبي المعروف بالسمين (المتوفي ٧٥٦هـ) بتحقيق عبد السلام التونجي، مكتبة الإعلام والبحوث بجمعية الدعوة الإسلامية / الطبعة الأولي ١٩٩٥م .

٢٧- الفتوحات الإلهية، لسليمان بن عمر العجيلي الشهير بالجمل (١٢٠٤هـ)، المكتبة التجارية الكبري بمصر .

٢٨- الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري بتحقيق البارون، المكتبة التوفيقية .

٢٩- فقه اللغة وسر العربية، للثعالبي، بتحقيق محمد إبراهيم سليم، مكتبة القرآن .

٣٠- القاموس المحيط، للفيروزآبادي، دار إحياء التراث العربي (بيروت، لبنان) الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م .

٣١- قرينة السياق، للدكتور تمام حسان، بحث منشور في الكتاب التذكاري للاحتفال بالعيد المئوي لكلية دار العلوم، مطبعة عبير للكتاب ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م .

٣٢- الكشاف للزمخشري، دار الفكر - بيروت .

٣٣- لسان العرب، ابن منظور، دار إحياء التراث العربي (بيروت - لبنان) الطبعة الثالثة ١٤١٩هـ ١٩٩٩م .

٣٤- اللغة لفندريس، ترجمة الدواخلي والقصاص، مكتبة الأنجلو ١٩٥٠م .

٣٥- مختار الصحاح، للرازي بتحقيق الدكتور عبد الفتاح البركاوي، دار المنار .

٣٦- معاني القرآن للفراء، (عالم الكتب - بيروت) الطبعة الأولى ١٩٥٥م والثانية ١٩٨٠م.

٣٧- المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، دار الخلود للتراث .

٣٨- النحو والدلالة، للدكتور محمد حماسة عبد اللطيف، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٨٣م.